الفصل الثاني

الرهبانية المسيحية نشأتها وتطورها

أولا - التعريف بالديانة المسيحية

المقصود بالمسيحية:

لقب «**المسيحية**» لم يطلق على الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، وإنما أطلق لأول مرة في تاريخ هذه الديانة على الذين اتبعوا بولس من الوثنيين.

ذلك أن بولس حين ادعى أن المسيح ظهر له - وهو ادعاء غير صحيح كما سنبين فيما بعد - بدأ يدعو بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها المسيح، ولم يدع إليها.

وبين قوم لم يبعث إليهم المسيح عليه السلام.

وحين اتبعه بعض الوثنيين من اليونانيين والرومانيين وغيرهم - من الذين كانوا يعيشون في أنطاكية- دعوا بالمسيحيين، أي: أتباع «**المسيح**»[1] وهذا اللقب يعني في اليونانية - وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية ولا يعرفون العبرية ولا الآرامية - «**المخلص**» وهذا يعني أن بولس حين دعاهم لم يدعهم إلى الإيمان برسالة «**عيسى ابن مريم**» وإنما دعاهم إلى الإيمان بالمسيح ابن الله المخلص[2].

يقول سفر أعمال الرسل (ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة، وعلما

(١) أصل لقب (مسيح) في العبرية يعني الممسوح بالزيت والدهن، وكان يطلق لدى بني إسرائيل على الأنبياء والملوك والكهنة فلقد أطلق على شاؤل (راجع: صموئيل الأول ١٠: ١)، وداود (راجع صموئيل الثاني ٥: ١-٢) وغيرهما، راجع رسالة الماجستير للمؤلف وهي بعنوان: (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص ٢٧٦ - ٢٨٠).

(٢) ويدل على هذا أن بولس في بداية تبشيره بالمسيح كانت أول جملة نطقها هي أن المسيح ابن الله يقول سفر أعمال الرسل (وللوقت جعل يكرز - يبشر - في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) أعمال ٩: ٢٠ لمزيد من المعلومات راجع رسالة الدكتوراة للمؤلف (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية).

جمعا غفيرا، ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا)[١].

فلقب «مسيحي» ظهر في أنطاكية أولا بعيدا عن المجتمع الذي عاش وبشر فيه المسيح، وبعيدا أيضا عن المجتمع الذي عاش فيه أتباع المسيح المخلصون، وظهوره كان مقرونا بدعوة بولس فيها [٢].

وهذا يعنى أن المسيحية ليست دين المسيح عليه السلام وإنما هي دين بولس ومن تبعه خاصة إذا علمنا أنه كان يدعو إلى أن المسيح عليه السلام هو ابن الله المُخَلِّص.

أما دين المسيح عليه السلام فهو الإسلام الذي هو دين الأنبياء والرسل جميعا.

المسيح ورسالته

بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وتنزيهه، بدلا من الاتجاه إلى التجسيم والتشبيه، وإلى إصلاح القلب بدلا من الأخذ بالمظاهر والأشكال. وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا. هذا إلى جانب أنه جاء مبشرا بسيدنا محمد ﷺ. ولكن دعوته لم ترق في أعينهم - إلا القليل منهم - لأن منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون إلى الأشكال والمظاهر منها دون الاتجاه إلى لبها وغايتها[٣] حتى كان منهم من يحجم عن عمل الخير في يوم السبت[٤] زاعما أنه داخل في عموم النهى [٥].

---

(١) أعمال ١١: ٢٥، ٢٦.

(٢) راجع الباحث المسيحي: يوسف الحداد: فلسفة المسيحية في رسائل بولس جـ١ ص٧٩.

(٣) راجع لوقا ١١: ٣٧ - ٤١.

(٤) راجع مرقس ٢: ٢٣ - ٢٨، متى ١٢: ١- ٨، لوقا ٦: ١ - ٥.

(٥) راجع الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٢٦ ط دار الفكر العربي الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٧ هـ سنة ١٩٧٧م.

هذا إلى جانب أن دعوته لم تحقق لهم ما كانوا يحلمون به من ملك مادي وسيطرة على الشعوب واستعباد للبشر. ولذلك ناصبوه العداء ووقفوا في وجه دعوته عليه السلام.

وقد أوضح رولاند بينتون - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة بيل الأمريكية - روح العداء والكراهية التي سيطرت على اليهود تجاه دعوة المسيح فقال: (فقد أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة)[١].

أما عامة الشعب فقد تركوه لأنه لم يستخدم قوته المعجزية ليطرد جنود الرومان الذين استعمروا فلسطين سيما وأن اليهود كانوا يؤمنون أن الله سيرسل لهم «المسيا» ليخلصهم - والمسيا يعنى المخلص- والخلاص في نظر اليهود كان سياسيا بمعنى أنه يخلصهم من الوهدة السياسية ومن سيطرة الرومان وغيرهم من الشعوب عليهم.

أما الأغنياء فقد خافوه لأسباب تختلف عن هذه، فلم يهمهم أمر السبت، ولم يريدوا حربا ضد المستعمر الروماني، ولكنهم غضبوا منه لأجل ما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارف وطرد الأبقار والأغنام التى أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة فيها[٢]. إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين من بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرمهم من المكاسب الكثيرة التى كانوا يحصلون عليها مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة[٣].

وناصبوا المسيح عليه السلام العداء أيضا لأنه جاء يصحح لهم العقائد والتعاليم التى حرفوها في ديانة موسى عليه السلام.

---

(١) راجع لوقا ١١: ٣٧.

(٢) راجع مرقس ١١: ١٥ -١٨، متى ٢١: ١٢ -١٧، لوقا ١٩: ٤٥-٤٨، يوحنا ٢: ١٣-٢٢.

(٣) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٧ ترجمة عبد النور ميخائيل: الطبعة الثانية. دار الثقافة المسيحية.

فقد حرفوا التوراة [١]، وحرفوا بعض عقائدهم إذ حرفوا عقيدتهم في الإله[٢] وصوروه في صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل [٣] ووصفوه بما لا يليق فهو يتعب ويستريح[٤]، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بذات الله.

- وحرفوا عقيدتهم في اليوم الآخر.

- وحرفوا البشارات بنبي الإسلام التى وردت في توراة موسى عليه السلام.

لذلك عمل المسيح على تصحيح العقائد المحرفة والتعاليم الدخيلة في ديانة موسى عليه السلام ولكن هذا لم يعجب اليهود؛ لأن التصحيح يعنى فضحهم وفضح تحريفهم لتوراتهم ولعقائدهم [٥] ولذلك عملوا بكل ما أوتوا من قوة على معاكسته ومناوءته.

ولما لم تؤت هذه المشاغبات ثمارها افتروا عليه عند السلطات الرومانية الحاكمة (وابتدءوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا: إنه هو مسيح ملك)[٦].

(وكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهود مبتدئا من الجليل إلى هنا)[٧].

---

(١) راجع: سبيوزا: رسالة اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥ ترجمة د/ حسن حنفى. مراجعة د/ فؤاد زكريا، الطبعة الثانية دار الطليعة سنة ١٩٧١م، القرطبى: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٨٨، د/ فتحى الزغبى: تأثر اليهودية بالأديان القديمة الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) راجع د/ أحمد شلبى: اليهودية ص ١٨٠، وتأثر اليهودية بالأديان القديمة الفصل الثالث من الباب الثاني، د/ على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود ص ٣٥.

(٣) انظر مثلا تكوين ٣: ٨ - ١٠ ووصفهم الله سبحانه وتعالى كأنه يسير في الجنة وأن لسيره صوتًا وأنه كان لا يعرف مكان آدم.

(٤) تكوين ٢: ٣.

(٥) راجع رسالتنا للدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) الباب الأول، الفصل الثاني، والثالث.

(٦) لوقا ٢٣: ٢. (٧) لوقا ٢٣: ٥.

ونتيجة لهذه الأقاويل أصدر الوالي الروماني حكما بالقبض عليه وإعدامه صلبا ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم ورفعه إليه.

يقول الله تعالى - عن اليهود - ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :١٥٦-١٥٨] .

يقول د. بركات دويدار (وإن نهاية المسيح بمحاولة صلبه - لولا أن نجاه الله - لتدل دلالة قاطعة على الجو العدائى الذي كان يعيش فيه، ومقدار المؤامرات التى كانت تحاك ضده)[١].

واستمرت عملية الاضطهاد بعد المسيح عليه السلام لأتباعه، **«ولم تهدأ بل زادت بحيث يمكن القول بأن أشنع أنواع التعذيب والوحشية قد جرت فيهم»**[٢].

وذلك راجع أيضا إلى أن اليهود كانوا يحاولون القضاء على أتباع المسيح المخلصين الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله لأن الخطر - في نظرهم - ما زال قائما بوجود هؤلاء ومعهم الإنجيل المنزل من عند الله. فالمعركة بالنسبة لليهود لم تنته برفع المسيح.

ولذلك عملوا بكل جهدهم على اضطهاد هؤلاء الأتباع وأيضا على إضاعة إنجيل المسيح الذي يفضحهم ويشيع عنهم التحريف بكل صوره وألوانه، أو إبادته من الوجود بطريق أو بآخر حتى لا ينكشف أمرهم وينفضح تحريفهم.

وظلت الأمور على ما هي عليها - اضطهاد من اليهود لأتباع المسيح

---

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ص ٢١١، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م.

(٢) ١٢٩ المرجع السابق نفس الصفحة.

واستبسال وصمود من المخلصين - حتى ادعى بولس إيمانه بالمسيح وهنا انقلبت الموازين وتبدلت الأمور وتغيرت الأحوال، وأخذت الديانة صورة جديدة وطورا جديدا ودعت إلى عقائد وتعاليم جديدة.

بولس وديانته:[١]

لقد أكدت المصادر المسيحية وغير المسيحية تأكيدا قاطعا على أن بولس لم يكن تلميذا من تلاميذ المسيح، فلم يلتق به مدة حياته، ولم يتتلمذ على يديه، ولم يتلق منه أي تعاليم. هذا إلى جانب أنه لم يلتق بأي تلميذ من تلاميذ المسيح في فترته التبشيرية الأولى.

هذا وقد أشارت الأناجيل المسيحية على أن بولس كان من ألد أعداء أتباع المسيح، وكان من أكبر قادة الاضطهاد ضدهم، إذ كان يكيل لهم البطش والتنكيل وشهدت الأناجيل بهذا، واعترف هو نفسه بذلك فقال:

«واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة»[٢].

اعترف بأنه كان من أكبر المضطهدين لأتباع المسيح وأنه أفرط في تعقبهم واضطهادهم وأنه كان قاسيا لدرجة أنه لم يترك رجلا أو امرأة إلا وسلمهم للسجون ولكنه تحول فجأة وبدون مقدمات وادعى أن المسيح ظهر له ودعاه إلى اتباعه وأمره بأن يدعو إلى رسالته.

والواقع أن هذا ادعاء لا أساس له من الصحة وذلك لما يأتي:

أولا: رويت حادثة ادعاء ظهور المسيح لبولس في سفر أعمال الرسل بثلاث روايات [٣]:

---

(١) راجع رسالتنا للدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) فقد عقدت فيها فصلا كاملا عن بولس ونشاطه قبل ادعائه اتباع المسيح وبعده (الباب الأول: الفصل الثالث).

(٢) أعمال الرسل ٢٢: ٤، ٥ راجع أيضا أعمال ٢٦: ٩-١١، غلاطية ١: ١٣.

(٣) أعمال ٩: ١-٩، ٢٢: ٦-١١، ٢٦: ١٣ -١٧.

الأولى: على لسان لوقا، والثانية والثالثة: يرويها لوقا على لسان بولس.

والواقع أن بين هذه الروايات اختلافا لا يقبل الجمع بينهما وذلك كما يلي:

أ - تبين الرواية الأولى أن المسافرين الذين كانوا مع بولس سمعوا الصوت ولم ينظروا النور ووقفوا صامتين.

بينما تبين الرواية الثانية أنهم لم يسمعوا الصوت ولكنهم نظروا النور.

أما الرواية الثالثة فتشير إلى أنهم نظروا النور وسقطوا على الأرض.

ب - يلاحظ من الرواية الأولى والثانية أن المسيح أمر بولس بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة.

أما الرواية الثالثة فتوضح أن المسيح أعطى بولس الرسالة فورا - وقت ظهوره له - مع وعد بإنقاذه من اليهود والشعوب الأخرى.

والاختلاف يعنى أن واحدة من هذه الروايات هي التى تحتمل أنها صحيحة والأخرى ليست كذلك ولا سبيل إلى تحديد الصحيحة من غيرها.

إذًا فالروايات كلها باطلة، لأن علماء الأصول يقولون: إن الدليل إذا تطرق إليه الشك والاحتمال سقط به الاستدلال.

ثانيا: تدعى إحدى روايات هذه الحادثة أن المسيح وعد بولس بأنه سينقذه من اليهود وغير اليهود.

تقول الرواية - على لسان المسيح - (منقذا إياك من الشعب - أي اليهود - ومن الأمم - غير اليهود - الذين أنا الآن أرسلك إليهم)[1]، بمعنى أنه سينقذه من أيدي اليهود وغيرهم حتى يموت ميتة طبيعية.

ولكن الواقع خلاف ذلك. إذ يذكر المؤرخون - بل والمسيحيون - أن

---

(١) أعمال الرسل ٢٦: ١٧.

نيرون قبض على بولس وعذبه كثيرا وأمر بقطع رأسه [١] فلم تتحقق نبوءة هذا الادعاء.

وهذا يعني أننا أمام أمرين لا ثالث لهما:

- إما أن المسيح وعد ولم يستطع أن يوفى بالوعد، وكذب على بولس، وهذا كفر بالمسيح وديانته.

- أو أن المسيح لم يعد بهذا والرواية كاذبة.

وبولس والمسيحيون لا يحبون أن يكون رسولهم - أو ابن الله كما يعتقدون - كذابا لذلك لا مناص من القول بأن الرواية كاذبة وأن بولس لم يحدث له هذا، ويكون هو الذي كذب على المسيحيين واحتال عليهم لترويج أفكاره ومعتقداته.

ثالثا: أن الروايات تذكر أن بولس كان معه بعض المسافرين الذين سمعوا ولم ينظروا - أو نظروا ولم يسمعوا - لماذا لم تذكر لنا الروايات أسماءهم وصفاتهم، وشهادتهم، وحالهم بعد إعلان بولس وادعائه للواقعة؟

أن شهادة هؤلاء لو ذكرت لكان هؤلاء شهود إثبات لهذه الواقعة ولا يستطيع أحد أن ينكرها، خاصة وأنه لم يحضر أحد هذه الواقعة سواهم، وشهادتهم في الواقع تعتبر شهادة مَنْ شاهد وعاين وتكون أكبر دليل على حدوثها.

أما وأن هؤلاء لم تأت الروايات بأي ذكر عنهم فإننا نشك أن تكون هذه الواقعة حدثت!!!.

والواقع أن حدوث هذا الأمر لشخص كان مشهورا بالاضطهاد الشديد

---

(١) راجع زكى شنودة: تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٧٨، بطرس الجميل ومجموعة الأساقفة: كتاب السنسكار جـ٢ ص ٣٩٦ الطبعة الثانية مكتبة المحبة سنة ١٩٧٨ م، دونالد ددلى: حضارة روما ص ٣٨٠ ترجمة جميل يواقيم الذهبى، فاروق فريد دار نهضة مصر.

لأتباع المسيح، لو كان قد شهده أناس لكان مثار حديث الجميع منهم، ولذهب الناس إلى هؤلاء الحاضرين لهذه الواقعة يسألونهم عن تفاصيلها، خاصة وأن ما وقع شيء غير معتاد ومألوف - وهو ظهور المسيح على هيئة نور ومعاتبته لبولس وتكليفه بحمل الرسالة - ولكن هذا لم يحدث ولم نسمع عنه من خلال الأسفار التى كتبها المسيحيون، والجدير بالذكر أن هذه الواقعة لو حدثت وكان معه هؤلاء المسافرون والمشاهدون لها لما شك أتباع المسيح في بولس حين ذهب ليلتصق بهم ولما خافوا منه، ولذهبوا إلى هؤلاء المسافرين معه وسألوهم عما حدث لبولس أو لاستنجد بهم بولس وبشهادتهم!!

ولكن هذا لم يحدث.

كل الذي حدث أن برنابا هو الذي تشفع له عند التلاميذ، وذكر لهم كيف أن المسيح ظهر له.. إلى آخره؟

ولكن هل برنابا كان من هؤلاء المسافرين؟

الواقع أن الروايات لا تذكر عن ذلك شيئا.

يقول سفر أعمال الرسل: **«ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه - أي بولس - فعلم شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضا نهارا وليلا ليقتلوه فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل».**

«ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع، وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه»[(١)].

(١) أعمال ٩: ٢٣ - ٢٩.

والخلاصـــة

أن رواية ظهور المسيح هي رواية ادعاها بولس وحده ولم يشهد بها أحد من المصاحبين له في السفر.

تبشير بولس بالمسيحية

وعلى أساس هذا الادعاء بدأ بولس يدعو بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها المسيح ولم يدع إليها ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد.

وأيضا لم يدع إليها أتباعه المخلصون.

فبدأ يدعو إلى أن المسيح هو ابن الله المخلص نزل من عند الله ليفدى البشرية ويخلصها من كل الآثام والذنوب والخطايا بصفة عامة، ومن خطيئة آدم والطبيعة البشرية الفاسدة الموروثة نتيجة لهذه الخطيئة بصفة خاصة [١].

ثم بعد ذلك بدأ يصف المسيح بصفات تتفق - في نظره - مع دعواه أهمها أنه ابن الله وأنه صلب وقام من قبره من أجل الفداء والخلاص.

ثم أشار على أتباعه بمزاولة بعض الشعائر مثل التعميد والعشاء الرباني وغيرهما وذلك لكي ينعموا في نظره - بهذا الخلاص[٢].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل ذهب يقلل من شأن الناموس[٣] «**شريعة موسى**» بالرغم من أن المسيح ذكر لأتباعه في أكثر من مناسبة أنه لم يأت لينقض الناموس، ولقد روى المسيحيون هذا التأكيد في أناجيلهم.

يقول متى - حاكيا عن المسيح -: «**لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس**

(١) راجع للمؤلف رسالة الماجستير: (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه).

(٢) راجع للمؤلف أيضا رسالة الدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية)، الباب الأول، الفصل الثالث.

(٣) والناموس اسم يوناني الأصل ومعناه (شريعة أو قانون) والمراد به: شريعة موسى التى جاء بها من عند الله «**في معنى الناموس راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨**».

والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات» [١].

وبالرغم من هذا دعا بولس إلى التخلي عن الناموس ونفى عنه أية إمكانية لتبرير [٢] الإنسان ونجاته ورسائل بولس مليئة بهذا.

يقول بولس: (جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة)[٣].

ويقول: (الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها)[٤].

ويقول: (لأنه إذا كان بالناموس بر فالمسيح إذًا مات بلا سبب)[٥]. إلى غير ذلك من الأقوال الدالة على فكرته.

ولذلك ألغى **«الختان»** بالرغم من أنه من شرائع موسى [٦] التى ما جاء المسيح ناقضا لها حتى إن المسيح نفسه اختتن. يقول لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الصبي)[٧].

وتحدى بولس الجميع وقام بالدعوة إلى إلغاء الختان وتركه وقال: (وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس، دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف، دعى أحد في الغرلة فلا يختن، ليس الختان شيئا بل حفظ وصايا الله)[٨].

---

(١) متى ٥: ١٧- ١٩.

(٢) والتبرير - كما عرفة المسيحيون - عكس الدينونة ويعنى أن المسيحي ينال البر والنجاة ويصبح بارا بفضل إيمانه بيسوع المسيح (راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩، الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص ١٢١).

(٣) غلاطية ٣: ١٠.

(٤) غلاطية ٣: ١٣

(٥) غلاطية ٢:٢١.

(٦) يقول سفر اللاويين (وكلم الرب موسى قائلا: إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام... وفي اليوم الثامن يختتن لحم غرلته) لاويين ١٢: ١ -٣، راجع أيضا: سفر يشوع ٥: ٢.

(٧) لوقا ٢: ٢١.

(٨) رسالة كورنثوس الأولى ٧: ١٧- ١٩.

وكان يردد دائما: (ما هو نفع الختان)[١].

ويقول: (ها أنا بولس أقول لكم: أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا)[٢].

لم يستق بولس هذه العقائد من تعاليم المسيح - كما سبق أن بينا - وإنما استقاها من مصادر أخرى.

وأغلب الباحثين يؤكدون أن بولس وقع تحت تأثير تيارات دينية وفلسفية وثنية هي التى كونت فكره وتعاليمه.

يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب: (يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابها قويا بين المسيحية - مسيحية بولس - وبين غيرها من ديانات العالم الروماني التى كانت منتشرة آنذاك، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة سواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحي العبادات والطقوس التى تعكس تلك المعتقدات)[٣].

وعلى هذا يتبين لنا مدى التغيير الذي أحدثه بولس في رسالة المسيح فهو يعتبر أول المحرفين لهذه الديانة، فقد أدخل فيها ما ليس منها، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح، وسلك طرقا لم يشر إليها، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح عليه السلام.

فهو بلا شك أخرجها من نطاقها السماوي ووضع بدلها وثنيات الأديان الوثنية وخرافات الأديان الوضعية وأصبحت تسمى بالديانة المسيحية وهذه الديانة هي التى انتشرت وأصبحت هي الموجودة بين المسيحيين إلى الآن.

---

(١) رومية ٣: ١. (٢) غلاطية ٥: ٢.

(٣) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص ٧٨، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م.

وعليه فقد أصبح للعيان أن المسيحية الحالية إنما هي من تأليف بولس وتأسيسه فهو المؤسس الحقيقي لها.

يقول ولز: (إن كثيرا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية)[١].

ويقول مايكل هارت: (إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو بولس وليس المسيح، وليس واضحا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا بولس)[٢].

فبولس وليس عيسى هو الذي بنى المسيحية وأقامها على النحو الذي هي عليه الآن.

وفي مؤتمر رجال الكنيسة الذي عقد في كلية جيرتون بكامبردج سنة ١٩١٨م طرح الشماس «ديان إنج» على أعضاء المؤتمر السؤال الآتى:

هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحي؟

فلم يجب على هذا السؤال بنعم إلا رئيس الشمامسة المستر «فورد» أما الباقون فأجابوا «لا»[٣].

ويقول أتين جلسون: (إن بولس هو الذي أرسى القواعد التى أقيم عليها بناء الفكر المسيحي كله وأن المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده لم يفعلوا شيئا أكثر من استخراج النتائج المترتبة على هذه القواعد[٤].

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثالث)، ص ٧٠٥.

(٢) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، ص ٢٤، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصرى الحديث، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م.

(٣) راجع تقارير هذا المؤتمر كاملة في كتاب: خواجا أفندي كمال الدين - زعيم المبشرين السنيين بانجلترا سابقا -، ينابيع المسيحية ص ٥٩ - ٦٠، ترجمة إسماعيل البارودى، طبعة سنة ١٩٢٩م.

(٤) أتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى جـ ١ ص ٢٦ عرض وتعليق د./ إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر سنة ١٩٧٤م.

ثانيا - «الرهبانية المسيحية» نشأتها وتطورها

نشاة الرهبانية المسيحية:

يذكر المسيحيون أن الرهبنة كانت لها مكانة ملحوظة في الحياة الدينية المسيحية، وأنها لعبت دورا بارزا في تاريخ الكنيسة.

يقول د. / جوزيف نسيم يوسف: (إن الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دورا قياديا في تاريخ الكنيسة المسيحية اعتبارا من القرن الثالث فصاعدا، وكانت الصوامع والقلالى هي مراكز الثقافة في العصور المظلمة، فمنها خرجت بعثات التبشير بالمسيحية، وعلى يد نزلائها تطورت الحياة الروحية التصوفية التى تركت أعمق الأثر على العقيدة)[١]

وسوف نشير فيما بعد إلى مصداقية هذا.

ويذكر المؤرخون المسيحيون أن حياة الرهبانية - بوضعها المنظم ومبادئها[٢] - ظهرت لأول مرة في تاريخ المسيحية في مصر، وأن أنطونيوس (٢٥١ - ٣٥٦م) هو مبدع الرهبانية [٣] والمنشئ الحقيقي للنظام الرهبانى [٤] وبالتالي الباعث على هذا اللون من الحياة الدينية في سائر البلاد المسيحية [٥]، ولذلك يمكن القول أن مصر هي التى قدمت إلى دنيا المسيحية هذا الأسلوب في الزهد والنسكية [٦].

---

(١) د. / جوزيف يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٩٤ مؤسسة شباب الإسكندرية سنة ١٩٨٣م.

(٢) الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ص ١٢ مطبعة دير القديس أنبا مقار طبعة أولى سنة ١٩٨١م.

(٣) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٣.

(٤) حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ص ١٧٥.

(٥) د. / إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ص ٧٢.

(٦) همس: العالم البيزنطى ص ٦٢ (مقدمة د./ رأفت عبد الحميد) مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٧٦م.

يقول د/ عبد القادر أحمد اليوسف: (ظهرت الرهبنة كمؤسسة واضحة المعالم لأول مرة في البلاد المصرية في الجهات الصحراوية في القرن الرابع الميلادي، ومنها انتشرت بسرعة مذهلة إلى أرجاء العالم المسيحي) [١].

ويقول زكى شنودة: «**الرهبنة نظام بدأ يستهوى نفوس المسيحيين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل**»[٢].

غير أن المسيحيين يشيرون إلى أن هناك بعض الممارسات النسكية التى تعتبر بمثابة المقدمات التى مهدت للنظام الرهباني.

يذكر يوسابيوس القيصري [٣] - أب التاريخ الكنسي - «**أن حياة الزهد والتقشف بدأت بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها، وأن الذين استجابوا لمرقس عاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة**»[٤].

ويقول الأب متى المسكين: «**ومع بداية تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية ومصر قام بين اليهود المتنصرين ثم الأقباط نظام التبتل والعبادة المنفردة في خارج المدن، وبالأخص في ضواحي الإسكندرية حول بحيرة مريوط**»[٥].

كما ظهرت بعض الممارسات الزهدية في أماكن أخرى كما يذكر المسيحيون.

(١) الإبراطورية البيزنطية ص ١٨٧.

(٢) زكى شنودة: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨١ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨م.

(٣) يوسابيوس القيصري: أب التاريخ الكنسي عاش ما بين عامي (٢٦٠، ٣٤٠م) تقريبا، وهو أول مؤرخ للكنيسة المسيحية، وصديق الإمبراطور قسطنطين، ومحل ثقته، ولد بفلسطين وتنقلت به الأحوال حتى صار أسقفا لمدينة قيسارية سنة ٣١٤م. له عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة أهمها كتاب (تاريخ الكنيسة) وكتاب (حياة قسطنطين) الذي كتبه ليمتدح به الإمبراطور قسطنطين بعد موته سنة ٣٣٧م (راجع: د./ بيريل سمارى: المؤرخون في العصور الوسطى هامش ص ٤٤ ترجمة د./ قاسم عبده قاسم دار المعارف، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م).

(٤) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص ٨٩ مكتبة المحبة.

(٥) الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار ص ١٢.

يذكر جون لوريمر: أنه في أوائل تاريخ الكنيسة ظهر كثير من الأفراد والجماعات الذين يؤمنون بحياة التقشف والزهد.

من هؤلاء أتباع «ماركيون»[١]- وهو في نظر المسيحيين من الهراطقة الذين يجب مقاطعتهم - فقد كان له أتباع كثيرون، واستطاع أن يؤسس كنيسة ضمت في عضويتها كثيرين في أرجاء الإمبراطورية، كان طابعه التقشف، فلا خمر ولا لحم ولا معاشرة نساء ولا زواج.

ولقد قال ماركيون: «**إذا أنجبت أطفالا فإنك تكثر أتباع إله هذا العالم**» ولهذا كانت كنيسة ماركيون تنمو عن طريق من يدخلونها من الخارج وليس عن طريق تكاثر أعضائها طبيعيا. ولكن لا يعرف كثيرا طريقة الحياة داخل هؤلاء الجماعة فأعضاؤها تقوقعوا داخلها ولم يتركوا أية وثائق تعرف العالم بهم»[٢].

كذلك أيضا كانت حياة النسك منتشرة بين جماعة المونتانية [٣] - وهي في نظر المسيحيين من الهراطقة الخارجين عن الكنيسة - إذ كانوا يعتقدون بالامتناع عن الزواج وبزيادة أوقات الصيام والامتناع عن شرب الخمر والأطعمة الشهية [٤].

وأيضا جماعة المتحاربين المتجولين في شمال أفريقيا في القرن الرابع كانوا أيضا متقشفين - كما يذكر جون لوريمر -[٥].

---

(١) ولد ماركيون في مدينة سينوب التى تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود بآسيا الصغرى سنة ٨٥م، وهو في نظر المسيحيين من الهراطقة، ولذلك قطعته الكنيسة من عضويتها، وهاجمته مهاجمة شديدة لدرجة أن المسيحيين تمنوا لو لم يولد ماركيون (راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ١١٤ -١١٨).

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١١٤.

(٣) ظهرت هذه الجماعة في منتصف القرن الثاني في مدينة فريجية بآسيا الصغرى على يد (مونتانوس) (راجع: فجر المسيحية ص ١٢١).

(٤) راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ١ ص ١٢٠.

(٥) المرجع السابق جـ٢ ص ١٣٣.

هذا وقد ظهر إبان حكم أنطونيوس إنسان اسمه (فرونتون) الذي اعتزل الحياة وخرج إلى صحراء وادي النطرون وبصحبته جماعة من أتباعه حيث أسس أول ما عرف بالقلالى المسيحية[١].

ويذكر «كيرزون» في كتابه «أديرة الشرق» أن فكرة الرهبنة كانت موجودة في القرن الثاني للميلاد وأن «فرونتون» اعتزل الحياة بوادي النطرون في نحو عام ١٥٠م.

كما يذهب الأب «شينو» في كتابه «قديسو مصر» إلى أن هذا القديس هو أول من فكر في حياة العزلة بعيدا عن العمران، وأنه قد جر وراءه سبعين شخصا آخرين انطلقوا يتعبدون في البراري والقفار [٢].

ولكن هذه الجماعة تذمرت على قائدها لنقص الغذاء، وقلة المؤن التى تعود أحد أغنياء الإسكندرية أن يبعث بها إليهم فتفرقت واندثرت معالمها بموته [٣].

إلا أن الرهبنة لم تكن في تلك الأيام - كما يقول زكى شنودة - قد اتخذت بعد شكلها الذي عرفت به في الأجيال التالية، وإنما كان معتنقها يمسى ناسكا، وكان ينفرد بعيدا في الصحراء، ويبني له كوخا يسمى بالقلابة، أو يبحث عن فجوة في الجبل تسمى بالمغارة وينتهج في معيشته هناك النظام الذي يختاره لنفسه دونما نهج معين يلزمه [٤].

* * *

(١) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ تلك الجماعة إذ هناك من الأباطرة من يحمل اسم أنطونيوس ثلاثة: الأول في سنة ١٥٠م، والثاني في عام ١٧٣م، والثالث في سنة ١٩٢م، والراجح أن تلك الحادثة كانت في عهد الأول - كما يقول د./ حكيم أمين - لإجماع المراجع على وفاة فرونتون سنة ١٧٣ (راجع دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٣).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة. (٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٩٣.

الأسباب التى دعت إلى ظهور الرهبانية بين المسيحيين :

ذكر المؤرخون أن أسباب ذيوع النزعة الرهبانية بين المسيحيين متعددة، منها ما يعود إلى أسباب اقتصادية، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية، ومنها ما يعود لفشل في الحياة أو للاضطهاد، أو للتظاهر بالزهد والتقوى والتشبه بحياة بعض القديسين سعيا وراء شهرة أو مكسب.

أولا : الأسباب الاقتصادية :

كانت الظروف الاقتصادية عاملا أساسيا من عوامل انتشار الرهبانية بين المسيحيين، فلقد فرضت الدولة الرومانية - وهى تعانى من متاعبها الاقتصادية - ضرائب باهظة، وكان هذا سببا في أن ترك الناس أراضيهم وأعمالهم وممتلكاتهم وهربوا إلى الصحراء؛ لأنهم عجزوا عن أن يدفعوا ما فرض عليهم، وأصبحت الضرائب عبئا ثقيلا زاده ثقلا قسوة جامعيها الذين كانوا يختارون من وجهاء المدن أو المناطق الأخرى بالإمبراطورية وهؤلاء عرفوا باسم (Curiales) حتى إن عددا كبيرا من صغار المزارعين تنازلوا عن أراضيهم لكبار الملاك من الأجانب وفضلوا ترك بيوتهم وأراضيهم وأولادهم ليحيوا حياة اللصوص، أو ليتركوا العالم بما فيه إلى حياة رهبانية توفر لهم الأمن رغم ما فيها من عيش على الكفاف[١].

يقول جون لوريمر: **«ومع أنهم لم يصبحوا جميعهم رهبانا إلا أن ندرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت كثيرين على أن يجربوا حياة الرهبنة في الصحراء وفي الجبال»**[٢].

والواقع أن عادة الهروب من السلطات إلى الصحراء نتيجة العجز عن دفع الضرائب كانت أمرا عاديا لدى المصريين القدماء.

---

(١) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٦.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٣٤.

فلقد ذكر المؤرخون أن المصرى القديم كان قد ألف في ظروف الضيق أن يفر من المدينة أو القرية إلى الصحراء أو إلى أحراج المستنقعات، كان يفعل ذلك حين يعجز عن ضرائب الدولة المستحقة عليه، فكان يفر من وجه الحكومة خشية العقاب الشديد الذي يصيبه في هذه الظروف، وكان يطلق على مثل هذا الشخص لفظ الهارب أو المختفي (Anachoretes) في العصرين اليوناني والروماني [١].

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت بداية الرهبانية من ظاهرة مصرية قديمة وهي الهروب إلى الصحراء نتيجة للظروف الاقتصادية.

وإذا كانت الضرائب الباهظة وفرضها على الناس في الإمبراطورية الرومانية سببا في اعتزال بعض المسيحيين الحياة وهروبهم إلى الصحراء، فإن القانون الذي أصدره (قسطنطين) بإعفاء غير المتزوجين من الضرائب، وإعفاء الرهبان من الخدمة العسكرية أغرى الكثيرين بالامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة[٢] بمعنى أن هذا كان سببا في رهبنة بعض المسيحيين.

تقول المؤرخة المسيحية (بتشر): «**وأول باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين سنة ٣٢٠م وفيه يعفى العزاب والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم، وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج بل ساعدهم على الشر والفساد، إذ جاء في فقرة أخرى منه أن اللقطاء يربون على نفقة الحكومة. ومنها أن الرهبان كانوا يعفون من الخدمة العسكرية في مدة حكم قسطنطين**»[٣].

ويتبين لنا من هذا أن الأحوال الاقتصادية كانت من الأسباب الواضحة لذيوع الرهبانية بين المسيحيين، وهذا يدل على أن الرهبنة المسيحية لم يكن

(١) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٤.
(٢) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٧.
(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٦.

الباعث عليها الدين المسيحي، وأنها لم تكن مطلوبة من المسيحيين، وإنما تتدخل الظروف الاقتصادية لتجعلهم يترهبون إذ إنها كانت هربا من دفع الضرائب المقررة عليهم من قبل السلطات، وكانت أيضا حبا في المال - كما بينت بتشر -.

ثانيا: الاضطهاد:

لقد تعرض المسيحيون لأنواع من الاضطهاد والتعذيب على أيدي أباطرة الرومان، وبلغ الاضطهاد ذروته في أواخر عهد الإمبراطور دقلديانوس [١] (٢٨٤ - ٣٠٥) مما جعل بعض المسيحيين يفكرون في الهروب إلى الصحراء.

يقول د./ جوزيف نسيم يوسف: **«إن حركة الاضطهادات التى صاحبت ظهور المسيحية والتي بلغت أشدها في عهد دقلديانوس كانت سببا في اضطرار الناس إلى الفرار إلى الوديان والقفار وإلى قمم الجبال وجوف الصحاري للتوحد والتعبد والتقشف»**[٢].

وشهدت صحارى مصر من النطرون إلى طيبة جموعا هائلة من المسيحيين المصريين الذين فروا من الأباطرة الرومانيين.

يذكر د./ رأفت عبد الحميد أن الاضطهاد هذا كان هو السبب المباشر لنشأة هذا النسق من الحياة الزهدية [٣].

يقول د./ حكيم أمين: **«وكان هذا الاضطهاد عاملا من عوامل انتشار الرهبانية»**[٤].

---

(١) ولد دقلديانوس عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م وفي عام ٣٠٥ اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦م.

(٢) دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٢٣٦ - ٢٣٧م.

(٣) د./ رأفت عبد الحميد: ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي ص ٤١ - ٤٢ طبعة روز اليوسف سنة ١٩٧٣م.

(٤) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٤.

وقد ذكر الكتاب المسيحيون أسماء بعض الرهبان الذين هربوا إلى الصحراء نتيجة للاضطهاد.

روى ديونيسيوس - كما يقول الكاتب السابق - بطريك الإسكندرية سنة (٢٤٦ - ٢٦٤م) أن القرن الثالث الميلادي شهد أعدادا كثيرة من المسيحيين تهرب من الاضطهاد الروماني، ومن هؤلاء أسقف مليج الذي هرب إلى الصحراء الشرقية ومعه امرأة ولم يعرف لهما خبر بعد ذلك)[١].

ويقول: **«وكان الأنبا (بولا - أو بولس - الطيبي) واحدا من هؤلاء الذين هربوا إبان إحدى موجات الاضطهاد على الكنيسة على عهد الإمبراطور ديسيوس سنة ٢٥٠م»**[٢].

ويقول سير هارولد إدريس بل: **«وقد لجأ بولس من أهل طيبة مثله مثل غيره في بادئ الأمر إلى الاعتصام بالصحراء كملاذ للفرار من اضطهاد ديسيوس»**[٣].

وقد نعى - إدريس بل - على المسيحيين لانتهاجهم هذا النهج مشيرا إلى أن النساك الأولين - أي في الديانة المصرية القديمة - قد يهولهم ويستولى عليهم الذعر والاشمئزاز لمجرد الفكرة بأنهم كانوا من الفارين الهاربين، وإنما كانوا على النقيض يذهبون لملاقاة العدو (وهو الشيطان) في موطنه ومستقره، فالصحراء منذ أقدم العصور - كانت في نظر المصريين القدماء تعتبر كوطن الأرواح الشريرة، ومنطقة نفوذ الإله (ست) عدو (أوزيريس)[٤].

وهكذا يتبين لنا أن المسيحيين حين تعرضوا لحملات الاضطهاد لم يجد كثيرون منهم بدا من الفرار من وجه الدولة والاختفاء في الصحراء والجبال. وعاب بعض المؤرخين على المسيحيين هذا مشيرا إلى أن المصريين الوثنيين كانوا أفضل بكثير من المسيحيين الهاربين.

---

(١) المرجع السابق ص ١٤. (٢) المرجع السابق ص ١٥٠

(٣) الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١٤٧م.

(٤) ١٨٦ المرجع السابق نفس الصفحة.

ويتصل بالاضطهاد أمر آخر - كان سباب من أسباب الرهبنة في نظر المسيحيين.

يقول المؤرخ المسيحي (جون لوريمر): «**إنه بعد انقطاع الاضطهاد نمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد - كما يسمونه - نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه فقد نبتت الرهبنة من رغبة المسيحي في أن يكون شهيدا، وقد عرفت الرهبنة بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التى حلت محل الشهادة الحمراء**»(١).

فالرهبنة في نظر هذا المؤرخ المسيحي تولدت لدى بعض المسيحيين حينما رأوا تقدير الناس لمن ماتوا نتيجة الاضطهاد والتعذيب، فرغبة منهم في نوال هذا التقدير والاحترام نزعوا إلى الرهبنة وهذا يعنى أن الأمر لا يتعلق بالدين بقدر ما يتعلق بالرغبة في مدح الناس لهم وتقديرهم.

ويتضح لنا من هذا كله أن الدوافع الاقتصادية والسياسية لها دخل كبير في قيام الرهبنة المسيحية وانتشارها.

ثالثا: عدم الرضى عن الكنيسة:

يعلل بعض المؤرخين ظاهرة التنسك لدى المسيحيين بأنها عبارة عن احتجاج على ما طرأ في العقيدة المسيحية من آراء دخيلة، وعلى انغماس بعض رجال الدين في شئون الدنيا، إذ بدت الرسالة الدينية عند البعض وكأنها دنيوية، لذا التجأ بعض الأفراد إلى العزلة في الصحارى أو على قمم الجبال، أو في المغارات والمقابر للانقطاع للتأمل والعبادة (٢).

وقد ذكر المسيحيون هذا السبب وأكدوا عليه.

يقول جون لوريمر: «**وكان السبب الثالث - لظهور الرهبنة وازدهارها - الإحساس**

(١) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٤.

(٢) د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢، راجع أيضا قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ٣٩٠.

القوى في قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت القداسة والتكريس، وشعروا أن حياتهم الروحية لا يمكنها أن تنمو إلا بعيدا عن الأوساط الكنسية، وما عليهم إلا أن يتركوها ويذهبوا كأفراد إلى الصحراء ليحيوا فيها حياة القداسة، إنهم لم يعلنوا إنكارهم للكنيسة، ولكنهم بعملهم هذا أدانوها»[١].

فلقد أحس بعض المسيحيين بعدم الرضى عن الكنيسة لأنهم رأوا أن رجال الدين سيطرت عليهم الأهواء وأصبحوا رجال دنيا.

ويزيد هذا الأمر وضوحا الكاتب المسيحي حبيب سعيد فيقول: **«وهناك عوامل أخرى أدت إلى ذيوع النزعة الرهبانية ألا وهي انسياب روح الفتور في حياة الكنيسة، بعد أن اتسعت دائرتها، ودخلها أناس من ذوى الميول الفاسدة، وقد رام بعض المسيحيين أن ينجوا بأنفسهم، ويسعوا إلى خلاصها بالاعتزال عن العالم، وإذلال رغبات الجسد، وكانت الفكرة السائدة أن المادة هي أصل كل الشرور، والجسد جزء من المادة، فلا مناص إذًا من قمعه وإذلاله، لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني - كما يعتقدون - إلى رحاب الهيام الروحي، لذلك اعتصم أولئك الزاهدون بالفقر والتحرر من مقتنياتهم، وارتداء الثياب الخشنة، والامتناع عن الطعام، إلا ما يسد الأود، وإرهاق أبدانهم بكل صنوف المشقات ونذر العفة المطلقة، وقد آمنوا في دواخل أنفسهم أن هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني»**[٢].

والمقصود بقوله: **«وكانت الفكرة السائدة أن المادة أصل كل الشرور...»** أنها كانت الفكرة السائدة في المجتمع الوثني القديم، وفي الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك.

ويوضح هذا المؤرخ المسيحي (أندرو ملر) فيقول: **«وجود الشر في المادة كان هذا المبدأ أول مبادئ الأغنسطية بكل شعبها، وقد عم كل الأديان الشرقية، وكان هو**

---

(١) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) فجر المسيحية ص ١٧٤.

الأصل في تلك النظريات الخاصة بتكون العالم المادي وكل الكائنات المجسمة، وبمقتضى هذا المبدأ ابتدأ الناس يعتقدون أن أجسادهم أصلها شرير وفاسد فنزعوا إلى الزهد والتقشف وقمع الأجساد بواسطة التنكيل بها حتى تستطيع عقولهم وأرواحهم - التى اعتقدوا أنها طاهرة وإلهية - أن تتمتع بالتأمل في الأمور السماوية بأكثر حرية»[(١)].

ويظهر للقارئ من هذا كله أن الرهبنة قامت بين بعض المسيحيين بسبب انحراف الكنيسة وبعد رجال الدين عن تعاليم المسيحية ولذا اعتزلوا العالم وتركوا الكنيسة احتجاجًا على هذا الانحراف، هذا بالإضافة إلى أن الكنيسة - لم تعد في نظرهم - تشبع رغباتهم الروحية.

ولذا يقول (دوشيزن) كان الراهب نقدا حيا للمجتمع الكنسي.

وعندما أخبر أنطونيوس الرهبان - كما يقول جون لوريمر - بأن الكتب المقدسة كافية للتعليم كان بذلك يعلن أن الكنيسة فشلت في إشباع الحاجات الروحية.

لقد برهن أنطونيوس بانعزاله بالرهبنة على أن الكنيسة القائمة لم تعد المكان الذي يعيش فيه شخص يريد أن يحيا حياة مسيحية حقيقية.

وبرهن أيضا - كما يقول «فرند» في كتابه (الكنيسة القديمة): على أن الكتاب المقدس والصلاة الانفرادية والصوم أصبح لها الأفضلية على الحياة العامة والصلاة الجماعية والقيادة الكنسية [(٢)].

والواقع أن البحث هنا يفرض علينا عدة أسئلة:

- ما هو الانحراف الذي طرأ على الكنيسة والعقيدة المسيحية؟
- ولماذا فقدت الكنيسة القداسة في نظر هؤلاء الرهبان؟
- وما هو الفساد الذي لحق برجال الدين في القرن الرابع حتى يحتج

---

(١) أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٢٣٧ طبعة كنيسة الأخوة سنة ١٩٧١م.
(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٥.

عليهم هؤلاء النصارى بالعزلة في الصحارى؟

- ولماذا لم يقف هؤلاء الهاربون في وجه رجال الدين المنحرفين؟

- وهل كان مع رجال الدين من السلطان ما يمنع هؤلاء من الوقوف ضدهم؟

- وهل كانت لديهم القوة والمنعة التى تمنع هؤلاء النصارى من ردهم عن غيهم وفسادهم؟

إن المؤرخين المسيحيين لا يبينون ذلك.

ولكن يمكن أن نقول: إن القرن الرابع الميلادي شهد أحداثًا مؤثرة في الديانة المسيحية، فلقد نشأت المجامع المسيحية المسكونية وبدأت في تقرير العقائد الكنسية، وذلك حين دعا قسطنطين - الذي كان وثنيا على الأقل حينذاك [١]- إلى عقد مجمع مسكوني عام في مدينة نيقية عام ٣٢٥م. ثم اختار هو أيضا من بين الألفين والثمانية والأربعين أسقفا الذين حضروا إلى مقر الاجتماع، ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا فقط ليقرروا عقيدة ألوهية المسيح، وليضعوا دستور الإيمان المسيحي الذي يفرض على المسيحيين، والذي لا زالت جميع الكنائس تؤمن به إلى الآن.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إن هذا الذي حدث من تقرير لألوهية المسيح ووضع لقانون الإيمان المسيحي هو من بين الانحرافات التى لحقت بالكنيسة والتي جعلت بعض المسيحيين يفزعون هربا إلى الصحارى تاركين الكنيسة ومعلنين الاحتجاج عليها بالفرار، خاصة وأن السلطان والقوة كانت مع الكنيسة ومع رجال الدين المسيحيين.

---

(١) ذلك أن قسطنطين لم يتقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م وهو العام الذي توفى فيه. (راجع هـ. أ.ل. فشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى (القسم الأول ص٦، ترجمة محمد مصطفى زياد، السيد الباز العرينى. دار المعارف).

والواقع أن هذا الذي حدث - وهو خضوع رجال الدين والكنيسة لسيطرة الإمبراطور الروماني الذي كان وثنيا طمعا في السلطان والدنيا مما جعلهم يقررون ما تصبو إليه نفس قسطنطين رغم مخالفتها لما يؤمن به الكثيرون [١] - جعل هؤلاء يفكرون في صحة ما يقال من أن المادة هي أصل كل الشرور ولذلك نزعوا إلى الزهد والتقشف احتجاجا على هذا الانحراف **وهذا يعني أنهم تركوا الكنيسة لا ليلتزموا بتعاليم الديانة النصرانية ولكن ليأخذوا بالأفكار السائدة في المجتمع الوثني الذي كان يعتبر أن المادة هي أصل كل الشرور والفساد، وهي التى تحول بين وصول الروح إلى التأمل وبلوغ الكمال، لذلك لابد من قمع المادة وإذلال الجسد حتى يمكن القضاء على هذه الشرور وتطلق الروح من قيودها - كما يعتقدون -»).**

ولذلك وجدنا المؤرخ المسيحي (أندرو ملر) يقول: «**إن مبدأ عدم زواج الأكليروس الذي تكون بعد ذلك الوقت، وكل نظام التنسك والرهبنة لا يرجعان إلى كلمة الله بل إلى الفلسفة الشرقية**»[٢]. وسوف نبين هذا بالتفصيل عند الحديث عن أصل الرهبانية المسيحية.

هذه هي أهم الأسباب التى ذكرها المسيحيون والمؤرخون للرهبانية المسيحية.

مظاهر الرهبانية المسيحية:

اتخذت الرهبانية المسيحية ثلاثة مظاهر نشأت جميعها في مصر:

أولا: رهبنة المتوحدين:

ويتمثل هذا في سلوك الرهبان الذين يعيشون حياة انعزالية في الأكواخ

---

(١) ويتضح هذا إذا قيس عدد الذين قرروا عقيدة ألوهية المسيح وهم ٣١٨ أسقفا من عدد الحاضرين وهم ٢٠٤٨.

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ ص ٢٣٧.

والكهوف والمغارات - أو القلالى يغلقونها على أنفسهم فلا يرون الناس ولا يراهم الناس - وبين الأشجار وحتى في المقابر.

ويطلق النصارى على هذا السلوك (التوحد) لأن الراهب يسكن منفردا، وعلى الرهبان في هذا النظام (الزهاد) لأنهم يعيشون في الخلوات والصوامع [١].

وقد بدأت الرهبنة بين المسيحيين بهذه الصورة - وكانت أول بدايتها بمصر كما سبق أن بينا - حيث خرج أفراد من المسيحيين من ديار أهلهم ويمموا شطر التلال البعيدة عن معالم العمران وانفرد كل منهم وحيدا متعبدا لله في كهف من الكهوف أو تحت سقف من السقوف[٢].

سارت الرهبنة إذًا في أول أمرها - كما يذكر المسيحيون - على نظام التوحد والانفراد حيث ينفرد الراهب في مغارة يقضى فيها حياته منعزلا عن البشر.

وقد أسس هذا النوع من الرهبانية (أنطونيوس) [٣] ولذا يعد رائد الرهبانية في مصر والعالم بشكلها التوحدى.

الثاني: الرهبنة الجماعية المشتركة (او الديرية):

والديرية نظام عريق في القدم قد يصل في قدمه إلى ما قبل التاريخ، فقد وجدت دائما أقليات صغيرة من الرجال والنساء تجد في العزلة والتأمل الحالة التى تلائمها وتناسب طبيعتها، وقد وجد هذا النظام له بعض الأتباع في الشرق وفي وقت مبكر، ثم انتشر في بلاد الشرق وأصبح له كيان موطد

(١) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٧.

(٣) بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية. مراجعة لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسيا، طبعة ثانية (راجع المقدمة).

الأركان باقترانه بالديانة البوذية[١].

ثم بعد ذلك انتقل إلى الديانة المسيحية وانتشر انتشارا واسعا حيث يعيش جماعة من الرهبان بموجب أنظمة مشتركة أو بحسب قواعد ديرية معلومة. ومن هذا النظام أنشأ الرهبان المسيحيون الأديرة، وانتقل نظام الرهبنة من حركة انفرادية إلى الحركة المعروفة لدى المسيحيين بحركة الحياة أو الشركة الاجتماعية.

ويطلق على هذا النوع من الرهبنة (الشركة) [٢] ويطلق على الرهبان في هذه الجماعة اسم النساك [٣].

نشأة الأديرة المسيحية وتطورها:

شق على الرهبان المسيحيين الالتزام بنظام التوحد والانفراد التام، ولذا تاقت نفوسهم إلى نظام أقل مشقة وأكثر أمانا.

فلقد ذكر المسيحيون أن الراهب المسيحي كان في مبدأ الأمر يختار لسكناه بناية خربة أو قبرا مهجورا خارج المدن أو كهفا منحوتا في القفر أو الجبل ويظل هكذا متوحدا لا يرى أحدا ولا يراه أحد.

ولكن هذا النمط من الحياة كان شاقا على كثيرين ممن اختاروا حياة الرهبنة، ولذا بدأ هؤلاء الرهبان يختارون كهوفا متجاورة يخفف عنهم تجاورها قسوة التفرد والانقطاع.

وبعد أن ازدهرت الرهبانية وتوافرت الإمكانيات بدأ الرهبان في بناء القلالى

---

(١) ج. ج. كولتون: الديرية أسبابها ونتائجها (الفصل الرابع والثمانون) من كتاب «**تاريخ العالم**» المجلد الرابع: ترجم هذا الفصل د./ جمال الدين الشيال، وراجعه د./ حسين مؤنس ص ٢٩٥، نشره السير جون هامرتن، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) بستان الرهبان ص ٥.

(٣) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.

من الحجارة التى عمرت بهم.

وفي القرن الخامس الميلادي بدأ البربر يغيرون على البراري التى يقطنها الرهبان، ومن ثم بدت الحاجة إلى بناء أسوار حول مساكن الرهبان. ومن ذلك الوقت بدأ بناء الأديرة ذات الأسوار العالية[١].

وعن نشأة هذا النظام في الديانة المسيحية وتطوره يقول زكى شنودة: **«ظلت الرهبنة المسيحية تقوم على التوحد والانفراد حتى إذا أقبل القرن الرابع الميلادي وكثر طلاب الترهب وانطلاق الناس إلى البراري والقفار، وحيث إن النفوس ليست بقادرة كلها على التزام الصبر الشديد على الوحدة المطلقة بما تنطوي عليه من قسوة وإقفار، وحرمان. وقد نشأ الناس بغريزتهم ميالين إلى الاجتماع والتعاون على مطالب العيش، ومن ثم فقد بدأت تظهر الحاجة إلى جمع شمل الرهبان ممن عجزوا عن حياة الوحدة، كي يعيشوا في جماعات تتوافر لها أسباب الائتناس بالزمالة والجوار، والأمن والسلامة من عادية الوحوش الضارية أو المغيرين من قطاع الطرق ولصوص القفار، فراح الرهبان يبنون قلاليهم في سفوح الجبال متجاورة من بعضها حتى يخففوا عن أنفسهم حدة ما يستشعرون من وحدة وانفراد»**[٢].

ثم يقول: **«ومع الزمن ابتدأ هؤلاء النساك المتجاورون يتعاونون في إقامة الصلاة وتدبير ما يلزم لهم من شئون حياتهم وحماية أنفسهم من ضواري الصحراء، وغارات البربر فقاموا يبنون أسوارا عالية تضم قلاليهم، وتعزز ما نشأ بينهم من تعاون ومودة.**

---

(١) يذكر زكى شنودة أنه لما كانت الأديرة في البراري النائية أكثر تعرضا لسطو الناهبين واللصوص فقد كانوا يبنون حولها الأسوار العالية ويجعلون أبوابها صغيرة واطئة يحنى الداخل منها رأسه، حتى إذا وقع خوف من غارة البربر كانوا يضعون أمام الباب حجرين عظيمين معدين على الدوام لهذا الغرض، بل كانوا أحيانا يسدون باب الدير بالبناء ويرفعون الأشخاص والأشياء باسطوانة تشبه الساقية حتى إذا قصد الدير شخص، كان يجذب حبلا متصلا بناقوس فيتنبه الرهبان له ويمدون حبلا يجذب الزائر إلى أعلى بواسطة الاسطوانة (راجع تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٢١ - ٢٢٣).

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٨٨ - ١٨٩.

وهكذا نشأت فكرة الأديرة»[١].

وبمرور الأيام كون أولئك النساك جماعات لحقت بها جماعات أكبر منها، ثم أصبحت الحاجة ماسة - كما يقول كولتون - إلى التشريع فوضع أحد الزعماء قانونًا رسميا تعهد الجميع بإطاعته، وكان قانون باخوميوس أقدم قانون[٢].

وقد نمت هذه الحركة على يد عدد من آباء الكنيسة وعلى رأسهم **«باخوميوس ٢٩٠ - ٣٤٨م»** الذي نظم حياة الرهبان في شكل اجتماعي بحيث يعيش الجميع داخل حيطان دير واحد يأكلون معا، ويصلون معا، ويدرسون معا ويشتغلون لكسب الرزق- كما يقول المسيحيون -

يقول د./ جوزيف يوسف **«وهكذا أصبح الرهبان يخضعون لقوانين معينة، بعد أن يتركوا الحياة الدنيا ويتخلصوا من مالهم وثرائهم ليعيشوا جماعات شعارهم الفقر والتبتل والطهارة، وقد انتشر نظام القديس باخوميوس بتأسيس العديد من الأديرة في مصر»**[٣]

ولذا يعد باخوميوس هو المشرع للقواعد الديرية التى اقتبسها عنه الرهبان الذين قاموا بنقلها إلى خارج مصر.

الرهبنة والديرية خارج مصر:

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الرهبنة والديرية خارج حدود مصر في الجزء الشرقي من العالم الروماني أي في بلاد الشام وقبرص وما بين النهرين وآسيا الصغرى.

ففي بلاد الشام نشأت الرهبنة في القرن الرابع الميلادي واتخذت طابعا

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨٩.

(٢) كولتون: عالم العصور الوسطى في النظم ص ١٦٨ ترجمة د./ جوزيف يوسف ط ثانية، دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

(٣) المرجع السابق، هامش ص ١٦٩.

خاصا مع أنها تأثرت بالنظام الأنطوى - نسبة إلى أنطونيوس.

وأهم مظاهرها الرهبان المشهورون (بالعموديين) نسبة إلى (سمعان العمودي) [١] ٣٩٠ - ٤٥٩م، الذي اتخذ مقامه فوق عمود[٢] - كما يقول ول ديورانت - ثلاثين عاما مكتفيا بأن يدلى سلة صغيرة بواسطة حبل ليحصل فيها على ما يحتاج من لوازم أساسية [٣].

أما في بلاد العراق فقد قامت الرهبنة والديرية على يد الراهب (أوجين المصرى) في حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. وكان قد تتلمذ على يدي القديسين أنطونيوس وباخوميوس، فبنى ديرا على مقربة من مدينة الموصل كما كون جماعات رهبانية شمال بلاد العرب وفي أرمينيا وفارس.

ثم نشأت جماعة أخرى على جبل (عزلا) بجوار (نصيبين) عام ٥٠٤م على يد راهب يدعى (إبراهيم)[٤].

- وفي بلاد فلسطين قامت الرهبنة والديرية على يد الراهب (هيلاريون) وكان من أهل غزة وولد بها عام ٢٩١م، وتلقى تعليمه ليعيش حياة النسك ولنشر الرهبنة بعد أن مهدت لها جماعات اشتهرت بتنسكها أطلق عليها (أبناء وبنات القيامة) فنشرت الرهبنة في كثير من جهات فلسطين، وبنت كثيرا من القلالى في مدينة أورشليم.

- وفي جزيرة قبرص أسس الرهبان القبط على التلال بالقرب من قرية «بلاتان» ديرا أطلقوا عليه اسم القديس مكاريوس [٥].

(١) راجع تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٨.

(٢) لقد روى المسيحيون عن الرهبان روايات فيها بعض المغالاة، وقد نقلت الكتب التاريخية هذه الروايات على أساس أنها وقائع وأحداث حقيقية.

(٣) ٢٠٩ قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ١ ص ١٢٣، راجع أيضا د/ سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى جـ ١ص ١٦٥ مكتبة المصرية أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٥.

(٤) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق ص ٩٧.

- أما في آسيا الصغرى فقد أسست أخت للقديس باسل ديرا للراهبات سنة ٣٥٨م في إقليم بونطس. أما باسل (٣٢٩ - ٣٧٩) فقد درس الأنظمة الأنطونية (أنطونيوس) والباخومية (باخوميوس) ولم تعجبه فأسس مؤسسة ديرية في قيصرية الجديدة بآسيا الصغرى أيضا حوالي سنة ٣٦٠م.

وسرعان ما أصبحت التنظيمات التى وضعها (باسل) لمؤسساته الديرية بمثابة دستور للاديرة الباسلية التى انتشرت في الشام وفلسطين وبلاد اليونان حتى صارت هذه الأديرة تتزعم الحياة الديرية في الإمبراطورية البيزنطية بقية العصور الوسطى [١].

- أما إدخال الديرية في أوربا فقد وصلت إليها قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، ويعزى إلى الراهب (إثناسيوس الكبير) إدخال الرهبانية والديرية إلى الغرب.

وكان النظام الديرى الذي انتشر في الغرب الأوربي شديد الشبه بالنظام الباخومى الذي عرفته مصر، ذلك أن كثيرا من الزائرين الغربيين الوافدين من روما وغاليا وأسبانيا زاروا الأديرة الباخومية في مصر ونقلوا معهم فكرتهم إلى الغرب، هذا إلى جانب أن (جيروم ٣٤٠- ٤١٠) ترجم سنة ٤٠٤م نظام باخوم الديرى إلى اللاتينية وبذلك وضع أمام الغربيين صورة منظمة لهذا النوع من الحياة الدينية التى عرفتها مصر[٢].

على أن تاريخ الديرية [٣] في غرب أوربا يرتبط بأربعة أسماء لامعة هم:

١- كاسيان (حوالي ٣٦٠ - ٤٣٥م).

٢- مارتن التورى (حوالي ٣١٦ -٣٩٧م).

---

(١) راجع: أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٥.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣- قيصر الآرلى (ت ٤٤٢م).

٤- بندكت (حوالي ٤٨٠ - ٥٤٣م).

ويعتبر أول هؤلاء المؤسس الحقيقي للديرية الغربية على الرغم من وجود بعض رهبان في الغرب -- وبخاصة في غاليا - قبل عصر «كاسيان».

أما «مارتن» فقد فاق «كاسيان» في اتساع نفوذه لأن الأول نجح في اكتساب تأييد الرأي العام الشعبي وعطفه في حين فشل الثاني في ذلك. وكان «مارتن» قد انتخب بالإجماع أسقفا (لتور) سنة ٣٧٢م وعلى مقربة منها أسس ديره الشهير (مار موتيه).

أما قيصر الآرلى فقد اختلف عن زميليه السابقين في أنه عاش في الوقت الذي كان الفرنجة قد غزوا غاليا فعلا. وقد وضع «قيصر الآرلى» نظاما للرهبان والراهبات يتضح فيه تأثره بآراء كل من «كاسيان» و «أوغسطين». كذلك وضعت شقيقة «قيصر» وهي «قيصرية» نظاما لدير الراهبات في «آرل» بمعاونة أخيها وينص هذا النظام على أن تشغل الراهبات وقتهن بالغزل والطهي فضلا عن نسخ الكتب.

أما بندكت فهو صاحب الفضل في تأسيس النظام الديرى الذي عرف باسمه والذي جعل الديرية الإيطالية تحتل مكان الصدارة في الغرب بعد أن حل النظام البندكتى محل كثير من الأنظمة الديرية السائدة، كما تمتع - لأول مرة في تاريخ المنظمات الديرية - بتأييد البابوية وعطفها.

ولذا أخذ المسلك الرهبنى يستهوى الكثير من المسيحيين في الغرب في القرن السادس الميلادي [١].

ولكن لم تلبث الحماسة أن فترت وبدأ الفساد والانحدار يتسرب إلى

(١) د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣.

الحركة الديرية[١].

هذا عن حركة الديرية وانتشارها في العالم.

الثالث: الحياة شبه التنسكية:

أما المظهر الرهبنى الثالث فهو المتوسط بين المظهرين السابقين والذي يشار إليه بالحياة الشبه التنسكية وهى عبارة عن حياة ديرية لم تكن فيها سلطة مركزية، إذ يجتمع الرهبان زرافات متفرقة كل منها تمارس عيشا مشتركا تحت إشراف أقدمهم رهبنة [٢].

ويطلق المسيحيون على هذا النظام (الفردية المترابطة) أي الحياة الفردية في تناسق مع الجماعة وأنشأه القديس مكاريوس.

وفي هذا الإطار عاش البعض في قلال منفردين، وبعضهم عاش جماعات في قلاية واحدة [٣]. والرهبان في هذا المظهر يسمون بـ «المتبتلين» لأنهم يجتمعون اثنين أو ثلاثة معا ويسكنون المدن ولكنهم لا يتزوجون [٤].

وظهرت الرهبنة بهذا النظام في مصر أيضا في النطرون، وشيات، وأسسه مكاريوس.

تعقيـــب:

الواقع أن حركة الرهبنة بمظاهرها تعتبر نوعا من التطرف البعيد عن الحكمة والفطرة الإنسانية والبعيد أيضا عن طبيعة الإنسان الاجتماعية، فليس من الدين والحكمة في شيء أن يبتعد الفرد عن إخوانه من بنى الإنسان ليعيش وحيدا منعزلا عن الحياة والعالم يقضى أيامه في جوع وحرمان، أو يأكل ما

---

(١) عن تطور الحركة الديرية وتسرب الفساد إليها وأسباب حلها راجع: (تاريخ العالم) المجلد الرابع (بحث كولتون عن الديرية) أسبابها ونتائجها، ص ٢٩٥ - ٣١٠.

(٢) راجع د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣.

(٣) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٨٨. (٤) مقدمة (بستان الرهبان) ص ٥.

يتيسر له من طعام فاسد دون أن يرتدى شيئا سوى أسمال بالية ويحرم نفسه حتى من نظافة الجسد[١]، ولذلك كان (أمونيوس [٢] ٢٩٤ - ٣٥٦م) يزعم أنه عيب وخجل أن ينظر الرجل التقى جسمه عاريا من الملابس، وعار أن يخلع ثيابه عنه ولو وقت الاستحمام، وكذا «إثناسيوس» كان يقول: إن الاستحمام عادة قبيحة مستهجنة لا توافق الآداب (ما دام الإنسان يقف مجردا من الملابس كما قال أمونيوس). فلذلك صارت أجسام أولئك الرهبان السذج - كما تقول بتشر - في حالة من القذارة والوساخة تشمئز منها نفوس صبيان الأزقة في البلاد المتمدنة، وهم كانوا يحسبون هذه الوساخة والقذارة علامة على الزهد والتقوى وإشارة للبر والقداسة [٣]، وما هي من التقوى بشيء بل هي أبعد ما تكون عن الفطرة والحكمة والطبيعة الإنسانية.

ويقول برتراند رسل - عن هذه الظاهرة لدى الرهبان - كان ينظر إلى النظافة بعين الكراهة، فالقمل كانوا يسمونه (لآلئ الله) كما كانوا يتخذونه علامة القدسية في حامله، وكان الرهبان والراهبات يفخرون بأن الماء لم يمس أقدامهم إلا حين استدعت الضرورة أن يعبروا الأنهار [٤].

وتقول بتشر: **«ولو اقتصر الأمر على وساخة الجسم لكان الضرر سهلا هينا، بل تعداه إلى وساخة العقول أيضا، فأن أكثر الرهبان أنكروا على أنفسهم الدرس والمطالعة وامتنعوا عن مزاولة العلم والمعرفة، وكانت النتيجة أن النباهة والحذق وحدة الذهن التى كانت طبيعية في الأمة - المصرية - يتوارثها الأحفاد عن الأجداد ضاعت منهم**

---

(١) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.

(٢) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٠. ولمزيد من التفاصيل عنه راجع القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٣.

(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٧٥.

(٤) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية جـ ٢ ص ١١٧، ترجمة د./ زكى نجيب محمود، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

بواسطة نظام الرهبنة»[١].

ثم تقول: «**نعم قالوا إن بعض الأديرة صارت في القرون الوسطى مدارس للعلم، ولكن إذا شئت الحقيقة التى لا مرية فيها إنها كانت منسخا يتعلم فيها الرهبان نسخ الكتب التى بقيت لهم من العصور الأولى، وكانوا يصرفون أوقاتهم وهم يكدون ويكدحون في الكتابة باليد، وقل أن يستفيدوا مما كانوا يكتبون**»[٢].

هذا وقد ذكر المؤرخون أن حركة الرهبنة والديرية امتلأت بالمساوئ والعيوب، فهي كانت عاملا من عوامل التفكك والانحلال التى أخذت تنخر في جسم المجتمع، ولقد ظهر هذا واضحا منذ وقت مبكر يرجع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي عندما شكا مجمع «جانجرا» سنة ٣٦٢م من أن نشاط الحركة الديرية أدى فعلا إلى تمزيق كيان الأسرة وشل كثير من مرافق الحياة العامة، هذا في الوقت الذي انتاب الفزع الحكومة الرومانية لكثرة الأفراد الذين هجروا متاجرهم وحقولهم لينخرطوا في سلك الديرية[٣].

وكان نتيجة هذه الرهبانية - كما يقول أبو الحسن الندوى[٤] - إن خلال الفتوة والمروءة التى كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيوبا ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها.

وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان بدلا من أن تفيض قلوبهم حنانا ورحمة، وعيونهم دمعا. تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات والأزواج أيامى، والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس،

---

(١) تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٦. (٣) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٣.

(٤) أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٨، الناشر: دار القلم بالكويت، ودار الأنصار بالقاهرة، الطبعة العاشرة سنة ١٣٩٧هـ- سنة ١٩٧٧م.

ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا.

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو أزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية.

يقول د. / سعيد عبد الفتاح عاشور: **«قامت الديرية في أساسها على شعور الأنانية المستتر خلف التدين فكل راهب يفكر في إنقاذ نفسه دون أن يفكر في غيره بالقدر الذي يفكر به في نفسه، بل ربما أوقعته عزلته عن المجتمع البشرى الكبير في كثير من الأخطاء»**(١).

ثم يقول: **«وإذا كان الراهب يقوم بشيء من أعمال البر والإحسان فإنه لا يقوم به رحمة بأخيه الإنسان وإنما رحمة بنفسه ووسيلة يتقرب بها إلى الله - وهو يعمل داخل الدير لا لأن العمل نشاط نافع لنفسه وللمجتمع أو وسيلة لمساعدة غيره، وإنما يتخذ من العمل منفذا لتصريف طاقة الحماسة المكبوتة في نفسه. فالراهب يهجر العالم ويلوذ بديره؛ لأنه في حقيقة الأمر أجبن من أن يواجه مصاعب الحياة ويعمل على تعديل ما بها من انحراف، وتقويم ما فيها من آثام وشرور»**(٢).

هذا إلى جانب أن الأديرة ذاتها تطرق إليها الفساد وشملها الفسوق منذ تاريخ مبكر حتى إنه ينسب إلى منشئ الأديرة (أنطونيوس) أنه قال لزميله **«مكاريوس»**: قم يا مقارة: أقفل الديارة لأن الرهبنة فسدت(٣).

ويقول الأنبا (باسيليوس) مطران أبي تيج: إن الأديرة لا تقي من الفساد وإن

---

(١) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ١٦٣.

(٣) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الأولى العدد السادس ص ٧٤، نقلا عن د./ أحمد شلبي: المسيحية ص ٢٤٦.

الرهبان يحيون حياة شريرة [١]

وجاء في المجلة المسيحية (رسالة الحياة) ما يلي عن الرهبنة والأديرة:

الأديرة تحتوى على فساد عميق، وهيهات أن يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ إنها تضم بين جدرانها أفاقين أولى بهم غيابات السجون [٢].

ويقول الكاتب المسيحي (كوركيس عواد) في مقدمة تحقيقه لكتاب (الديارات)[٣] للشابوشتى (٣٨٨هـ -٩٩٨م): إن الأديرة كانت مجالا للأنس والطرب ومواطن للنزهة واللهو، وأن كل دير من الديارات كانت محصنا بسور مكين شاهق يدفع عنه شر الهجمات ويقيه غائلة المعتدين عليه، والواقع أن هذه الأسوار كانت تخفى ما يدور بداخل الديارات من انحراف وأسرار[٤].

والديارات التى تكلم عنها الشابوشتى هي ثلاثة وخمسون ديرا أكثرها بالعراق (٢٧) ديرا وبعضها بالشام (١٣) ومصر (٩) والجزيرة (٤). وقد شملها الانحراف جميعا مما يدل على أن الأديرة في أي موقع كانت، رحبت بهذا اللون المنحرف من الحياة، فكأن الانحراف كان جزءا من أعمالها[٥].

وربما نجد في كلام الجاحظ إشارة وتلميحا إلى هذا الانحراف حيث تعجب من كثرة الولد برغم دعوتهم إلى الرهبنة.

فمن أين أتوا بهم؟؟؟

يقول الجاحظ: «**والعجب أن كل جاثليق لا ينكح ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف، وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين في**

(١) الأنبا باسيلسوس: صوت الحق نقلا عن المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٣) وإن نظرة واحدة في هذا الكتاب وما يرويه عن الديارات تكفى للاقتناع بأن الأديرة كانت معقلا للفساد والعصيان، وأن الانحراف كان جزءا من أعمالها.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة. (٥) المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

الديارات والبيوت من النسطورية وكل راهب في الأرض وراهبة - مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبه القسيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون في الناس من المرأة العاقر، والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوج أخرى معها، ولا على التسري عليها - وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملئوا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد»[١].

فمن أين جاءوا بكثرة الولد؟؟؟ ومن أين لهم هذا العدد؟؟؟ مع ما يدعون إليه من ترك النكاح.

وروى عن الجاحظ ما يؤكد قدحه مباشرة في عفة الرهبان والراهبات.

فلقد ذكر الشابوشتى أنه روى عن الجاحظ أنه قال: حدثني ابن فرج الثعلبي: أن قوما من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أن السلطان قد نذر بهم، فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء في دير العذارى [٢]، فصاروا إلى الدير ففتح لهم، فما استقروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل في طلبهم، فلما أمنوا وجاوزتهم الخيل خلا كل واحد منهم بجارية كان يظنها عذراء ولكنهم جميعا تبينوا أن القس الذي كان موكلا بحماية الدير قد اعتدى عليهن جميعا)[٣] كل هذا يدل على فساد الأديرة وانحراف سكانها.

* * *

(١) الجاحظ: المختار في الرد على النصارى ص ٩٣، تحقيق د./ محمد عبد الله الشرقاوى، دار الصحوة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

(٢) يقول عنه الشابوشتي: إنه سمي بدير العذارى إذ أقيم لبعض الجواري المتبتلات العذارى فكن سكانه وقطانه فسمي الدير بهن.

(٣) الديارات ص ١٠٧، نقلا عن عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

أهم مبادئ الرهبانية المسيحية

تقوم الرهبانية المسيحية على ثلاثة مبادئ رئيسية:

- العفة (أو البتولية كما يذكر البعض)
- الفقر (أو التقشف)
- الطاعة[١].

وقد أضاف زكى شنودة إلى هذه المبادئ مبدأ الوحدة أو العزلة، وقسم مبدأ الطاعة إلى قسمين: الصلاة والتأمل [٢].

وعليه فالمبادئ خمسة كما ذكرها زكى شنودة.

أما البتولية فهي تعنى عندهم عدم ممارسة العلاقات الجنسية [٣] بعدم الزواج، والابتعاد عن مشاهدة النساء، وصم الآذان - كما يقول زكى شنودة - عن نداء الجنس الخارج من أعماق الجسد[٤].

ولذلك جاء في وصايا الرهبان:

«الزم البكورية في أعضائك، والطهارة في قلبك وجسدك»[٥].

والزواج - في نظرهم - هو المعوق للوصول إلى الطهارة الداخلية والكمال الروحي[٦].

---

(١) راجع مقدمة (بستان الرهبان) ص ٦، أندريه سكريما: أصول الحياة الروحية ص ٢٥، وهذا الكتاب عبارة عن دروس للأب أندريه سكريما إلى أخوة دير مار جرجس الحرف، منشورات النور، ط ثانية، الأب بولس إلياس اليسوعى: يسوع المسيح ص ٣٥٦ المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٨٢.

(٣) أصول الحياة الروحية ص ٢٩.

(٤) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٣.

(٥) بستان الرهبان ص ١٨٩.

(٦) أصول الحياة الروحية ص ٣٠ - ٣١.

وعليه فعدم الزواج من الأمور الواجبة على الرهبان، فالراهب والراهبة يأمرون بعدم الزواج باعتبار أنه مناف لباب التقرب إلى الله، وترك النكاح - عندهم - من جملة المناسك والقربات.

هذا وقد فرضت الكنيسة على القساوسة والرهبان العزوبة وعدم الزواج منذ وقت طويل.

ففي أوائل القرن الرابع الميلادي أصدر مجمع «**الفيرا**» في أسبانيا قرارا بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة، وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا «**جريجوار السابع**» أمرا بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القسس والرهبان كبارهم وصغارهم.

ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية فإنه لم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاما مقررا في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقا على جميع القسس من الرجال والراهبات من النساء[١].

ويشير المسيحيون إلى أن - الزنار في الزى الرهبانى - وهو الحزام الذي يشده الراهب على وسطه - إنما يرمز إلى البتولية.

يقول أندريه سكريما: «**وكأنه مشدود في الوسط ليمنع الحكمة الكاملة التى تأتي عن طريق البتولية الرهبانية من الانحدار من المنطقة العليا إلى المنطقة السفلى**»[٢].

والواقع أن الحكمة لا تأتي عن طريق البتولية بل ربما تكون سببا في الفساد فهم - بمبدأهم هذا - يعرضون الرجال والنساء للزنا والفساد، ويسدون باب الذرية التي يمكن أن تكون صالحة تعبد الله وتعظمه وتقدسه.

---

(١) د./ على عبد الواحد وافي: غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٢٧٧، دار نهضة مصر سنة ١٩٨٤م.

(٢) أصول الحياة الروحية ص ٣٢.

هذا إلى جانب أن الزواج مشتمل على قربات منها: إعفاف الزوجة، وإعفاف الزوج، والتسبب للذرية، وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد العصيان، وهذه القربات أفضل مما انقطع إليه الرهبان.

ومن ناحية أخرى نجد أن النكاح والتناسل سنة الأنبياء عليهم السلام، وخواص الأولياء، ودأب النجباء والأقوياء [١].

وهناك أمر آخر يجب التنبيه عليه وهو أنهم إذا كانوا يدعون إلى عدم الزواج ويعتبرونه معوقا للكمال الروحي فلماذا إذًا ينادون الآن بكثرة النسل؟ فهم يهتمون بكثرة النسل ويحاربون تحديده، ويزيد اهتمامهم به في البلاد التى يكونون فيها أقلية أو مساوين بغيرهم في التعداد.

ولذلك نشرت مجلة الوثائق الكاثوليكية في عددها رقم ١٢٧١ سنة ١٩٥٨م نص ما قاله البابا بيوس الثاني عشر في الاتحاد الإيطالي لجمعيات العائلات الكثيرة وهو «**أن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب المسيحية ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجلبة للأفراح العائلية**»[٢].

هذا وتشير المؤرخة المسيحية (بتشر) إلى أن أكثر الرهبان المسيحيين لم يمتنعوا عن الزواج لسبب ديني فتقول: «**إن الحقيقة التي نريد إيضاحها الآن هي أن أكثر الذين صاروا رهبانا وراهبات - وأكثر الذين فعلوا مثل إثناسيوس ولم يتزوجوا- لم يتخلوا عن وظائفهم بل استحسنوا عدم الزواج بسبب مصائبه وضيق الوقت**»[٣].

والواقع أن العزوبة المفروضة على رجال الدين ليست قاصرة على المسيحيين وحدهم.

---

(١) القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ص ٣٣٨ - ٣٣٩ تحقيق د./ بكر عوض (كلية أصول الدين بالقاهرة) الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦.

(٢) راجع محمد الطهطاوي: النصرانية والإسلام ص ٧٥ - ٧٦، الناشر: دار الأنصار بالقاهرة.

(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص٢٧٣.

فهناك شعوب كثيرة [١] - قبل المسيحية - فرضت على رجال الدين وذوى الوظائف الدينية العزوبة، وعدم الاقتراب من النساء، وحرمت عليهم الزواج تحريما قاطعا.

- فعند قبائل «التلنكت» يعتقد أن الساحر الذي لا يبتعد عن النساء ستقتله الأرواح نفسها التى تقوم بحراسته.

- وفي بعض عشائر «الجوارانيين» بأرجواي (بأمريكا الجنوبية) يتحتم على رجال الدين العزوبة والابتعاد عن النساء طول حياتهم، ومن يتزوج منهم أو يقرب امرأة يفقد وظيفته كما يفقد ثقة الناس به.

- وعند السكان الأصليين في «جواتيمالا» يأخذ رجال الدين على أنفسهم العهود أن يبتعدوا مدى حياتهم عن الاقتراب من النساء.

- ولدى «الاتشكاتلانيين» يجب على كبير رجال الدين أن يعيش طول حياته في داخل معبده وألا يقرب النساء، فإن انحرف عن هذا السبيل قطع إربا إربا وعلقت أعضاؤه ليكون عبرة لسواه ممن يخلفه.

- وعند قبائل «الأزتك» - وهم السكان الأصليون للمكسيك - كان يجب على الكاهنات والمشرفات على شئون المعابد ألا يتزوجن ولا يقربن الرجال، وحتى في أثناء أدائهن لوظائفهن الدينية كان يجب عليهن أن يظللن بعيدات عن الرجال وأن يغضضن من أبصارهن حتى لا تقع أعينهن على واحد منهم. فإن انحرفت إحداهن عن هذا المنهج كان عقابها الإعدام.

- وعند عشائر «الإنكا» في «بيرو» كان يجب على العذارى اللاتي وهبن أنفسهن للشمس والإشراف على معابدها أن يظللن عزبات طول حياتهن وألا يقربن الذكور، بل كان يحرم عليهن حتى مجرد الحديث مع الرجال.

- وعند عشائر «الجونش» في جزائر «كارانيا» يحرم الزواج حرمة مؤبدة على

(١) اعتمدنا في هذا على كتاب: (غرائب النظم والتقاليد والعادات) ص ٢٧١ - ٢٧٧.

طائفة من الفتيات يطلق عليهن اسم «الموجاد» أو «الحاريماجاد» وتتمثل وظائفهن في الإشراف على شئون المعبد والشعائر الدينية تحت إشراف الحبر الأكبر.

- وفي «رأس بدرون» في «غينيا السفلى» كان يجب على من يخلع عليه لقب «القسيس - الملك» أن يعتزل الناس ويتخذ له في غابة مجاورة منزلا يعتكف طول حياته فلا يسمح له بالخروج منه ولا يباح له أن يمس امرأة في داخله.

- وعند «قدماء اليونان» كان من المقرر في كثير من المدن أن تظل الكاهنات بدون زواج طول حياتهن أو على الأقل في أثناء قيامهن بوظائفهن.

- وعند «قدماء الرومان» أيضا وجد هذا النظام حيث أنشأ الملك «نوما بومبيليوس»[١] نظام الكاهنات المشرفات على شئون المعابد، وكان يجب على كل واحدة منهن أن تظل عزباء في مدة معينة.

- وعند «قدماء الفرس» كان يجب على الكاهنات المشرفات على معابد الشمس ألا يقربن الرجال.

- ووجد هذا النظام أيضا عند الهنود القدماء في أديانهم المختلفة - كما سبق أن بينا-.

أما المبدأ الثاني - من مبادئ الرهبنة المسيحية - فهو الفقر أو التقشف:

وهو يعنى - عندهم - حرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات ومن فاخر الثياب، أو تعذيب البدن بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيدا عن الناس[٢].

---

(١) هو الملك الثاني من ملوك روما في العصور السابقة للتاريخ وفق ما تحدثنا به أساطير الرومان (٧١٤ - ٦٧١ ق. م)

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٤ -١٨٥، أصول الحياة الروحية ص ٣٤- ٣٩.

أما الطاعة - وهي المبدأ الثالث:

فيقصدون بها طاعة الرؤساء في كل ما يأمرون به وفقا للكتب المقدسة.

وهذه الطاعة واجبة على الرهبان[١].

يقول أندريه سكريما: «**بنذر الطاعة يلتزم الراهب أن يطيع رئيسه وإخوته متنازلا عن إرادته الذاتية حتى الممات**»[٢].

أما الوحدة:») فيقصد بها عندهم هجر العالم والزهد في متاعه وأطماعه واللجوء إلى الجبال والبراري بعيدا في الصحراء.

وهي تعنى أيضا الانفراد والعزلة والسكون والصمت وسكنى الأديرة أو الجبال وملازمة الدير أو القلاية وعدم مغادرتها إلا للصلاة أو الضرورة القصوى[٣].

ولا شك أنهم بهذا يعطلون القوى الإنسانية التى أعطاها الله للإنسان وميزه بها هذا إلى جانب أنها لا تتفق مع كون الإنسان خليفة لله في الأرض.

* * *

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٥- ٢١٤.

(٢) أصول الحياة الروحية ص ٤٠.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١ ص١٩٣، ١٩٤، ٢١٤.

مؤسسو الرهبانية المسيحية

يرجع تأسيس الرهبانية المسيحية إلى الآباء: بولا، وأنطونيوس - أبو الرهبنة -، وباخوميوس، ومكاريوس المصرى، وكلهم من الرهبان المصريين.

وسوف نتكلم عن هؤلاء بإيجاز باعتبار أنهم المؤسسون للرهبانية المسيحية، وسوف نتحدث أيضا عن بعض الرهبان المسيحيين الذين اشتهروا في مجال الرهبانية.

بولا (بولس الطيبى)[١]:

من أشهر الرهبان الذين عاصروا العهد الأول - الذي بدأت الرهبنة تأخذ فيه شكلها المنظم - بولس الطيبى. وقد ولد في طيبة في أوائل القرن الثالث سنة ٢٣٠ أو سنة ٢٣٤م، وكان أبوه رجلا غنيا فلما مات أبوه ورث ثروة طائلة، ولكن صهره حسده عليها، فلما خاف بولس أن يشي به صهره لدى السلطات بأنه مسيحي هرب إلى الصحراء - كما تقول المراجع المسيحية - وجاء إلى كهف يؤدى إلى فضاء خلفي، ووجد هناك طعاما وشرابا ولذلك عزم على البقاء وظل في الصحراء إلى أن مات في سنة ٣٤٣م [٢] وعمره قد جاوز المائة.

وهناك دير باسمه في ذات الموقع الذي عاش فيه بجبل القلزم، وفيه رهبان إلى اليوم.

ويرجع الفضل في اكتشاف بولس الطيبى إلى الراهب أنطونيوس ولولا أنه

(١) عن حياته ومبادئه، راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٦ -١٣٧، تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٦، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٧٢، دراسات في تاريخ الرهبانية ص١٥-١٦.

(٢) يذكر د./ حكيم أمين: أنه توفى ٣٤٧م.

عثر عليه مصادفة لظل أمر «بولا» مجهولا [١].

آمونيوس:

ولد هذا الراهب سنة ٢٩٤م في بلدة قريبة من الإسكندرية من أبوين ثريين توفيا وهو في سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه.

يقول المسيحيون عنه إن نفسه كانت تواقة إلى حياة الزهد وإن آماله كانت متوجهة إلى عيشة التبتل والتنسك، غير أن عمه الذي كان قد كفله حثه على الزواج فخطب له فتاة ثرية، فلم يملك إلا طاعة أمره، ولكنه - كما يقولون - استطاع أن يقنعها بأفضلية حياة التبتل، ومن ثم اتفق الاثنان على أن يعيشا معا تحت سقف واحد كأخ وأخت لا كزوج وزوجة، غير أن آمونيوس بعد انقضاء ثمانية عشر عاما من زواجه عقد العزم على التفرغ للعبادة والنسك وحيدا في البرية، فانصرف إلى وادي النطرون وهناك ذاع صيته، وانضم إليه كثيرون من الأتباع والنساك وكثرت القلالى حول صومعته [٢].

ومن مبادئه - كما يقول القس منسي يوحنا - أنه من العيب أن يتفرس الرجل التقي في جسمه وهو عار من الملابس[٣].

وتوفى هذا الراهب عام ٣٥٦م. وقد قدر البعض وفاته بوجه التقريب بين عامي ٣٤٠ - ٣٥٠ م[٤].

أنطونيوس المؤسس الحقيقي للرهبانية:

يعتبر الراهب أنطونيوس أبا الرهبان المتوحدين، وأشهر الرهبان الأولين، والمؤسس الحقيقي لحركة الرهبانية في مصر.

يقول الأب متى المسكين: «**وإذا كان أنطونيوس قد سبقه في التوحد المطلق**

---

(١) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٥.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٧، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٦٣.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٣.

(٤) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٦٤.

(بولس الطيبى) أول سائح مسيحي وعاه التاريخ إلا أن الرهبنة مدونة في كل ما لها من مثل ومبادئ ونظم إدارية للقديس أنطونيوس وباخوميوس من بعد»[١].

ولقد عرف تاريخ حياته عن طريق إثناسيوس الإسكندري (٢٩٦ - ٣٧٣م) الذي كتب قصة حياة هذا الرجل ثم ترجمت إلى لغات عديدة [٢]، ولقد شكك بعض المسيحيين في صحة كل ما كتبه إثناسيوس عن أنطونيوس.

يقول جون لوريمر: **«أما القصة الكاملة عن أنطونيوس فقد كتبها اثناسيوس في أثناء إقامته الطويلة في الصحراء سنة ٣٥٦م، ومع أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة كل تفاصيلها إلا أن معظم المؤرخين قبلوا حقائقها الأساسية»**[٣].

ثم يقول: **«ومن المعلوم أن أنطونيوس وإثناسيوس كانا صديقين يعجب أحدهما بالآخر ولكن من المؤكد إن إثناسيوس كان يكتب باليونانية ومن المحتمل أنه كان يجهل القبطية التى لم يكن أنطونيوس يعرف سواها، هذا الاختلاف اللغوي قد يكون له بعض الأثر في دقة ما كتبه إثناسيوس»**[٤].

ولد أنطونيوس في منتصف القرن الثالث (حوالي ٢٥٠ أو ٢٥١م) في بلدة قمن العروس بمركز الواسطى بإقليم بني سويف من والدين ثريين، وبينما هو في العشرين من عمره توفي والده وترك له ثروة كبيرة وأختا صغيرة يقوم على تربيتها والعناية بشئونها، إلا أن أنطونيوس بدأ يتجه نحو التنسك.

يقول د./ حكيم أمين: **«ولعل من دوافع اتجاهه إلى الحياة الرهبانية ما عرف عن حياته البسيطة التى عاشها في ظل التعاليم الكنسية، وما كان بمصر وقتذاك من الأفكار الكنسية وكثرة النساك في الأكواخ المتفرقة على ضفاف النهر»**[٥].

ويذكر المؤرخون المسيحيون أنه حدث ذات يوم عندما كان أنطونيوس في

---

(١) لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار ص١٠٢.
(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٧، ١٣٨.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٨.
(٤) المرجع السابق هامش ص ١٣٨.
(٥) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٨.

الكنيسة سمع الكاهن يعظ الناس مرددا ما جاء في إنجيل متى «**إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني**»[١].

فأثرت فيه هذه الكلمات - كما يقول المسيحيون - ولذلك باع أملاكه إلا ما يكفي لسد حاجة أخته، ووزع قيمتها على الفقراء، ولكنه عاد فباع البقية عنده، ثم عهد بشقيقته الصغيرة إلى بيت للعذارى.

وكانت الخطوة الثانية - كما يقول جون لوريمر - أنه ذهب وعاش مع رجل عجوز يحيا حياة الزهد، فهذا الأخير أرشده ووجهه إلى خطواته الأولى في حياة الرهبنة [٢].

بعد هذا أقام أنطونيوس في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل، ولكن بعد فترة رأى أن في إقامته في ذلك المكان خطرا على حياته الروحية كما يقول د./ حكيم أمين - بسبب رؤيته لبعض النساء اللاتي كن ينزلن إلى النهر للاستحمام [٣]، ولذلك انتقل إلى الصحراء وسكن في قبر مهجور وانقطع عن العالم، وكان طعامه الخبز والملح والماء - كما يقول المسيحيون - ولكنه لم يطل البقاء في هذا القبر فارتحل إلى العمق الشرقي في الصحراء فوجد هناك حصنا رومانيا مهجورا فجعل منه بيته الرهبانى الثاني (بالقرب من بسبير) ومكث هناك عشرين سنة يتقوت على الخبز الذي يأتي به أصحابه، وعلى ماء البئر الذي كان يوجد في هذا الحصن.

وفي عام ٣٠٥ بدأ أنطونيوس في تكوين جماعته من المتوحدين، ولم يكن تكوينهم ديريا بالمعنى المعروف، ولكن جماعة من الرهبان يعيش كل منهم بمفرده، ولكنهم قريبون من بعضهم وكانوا يجتمعون معا كل يوم أحد لإقامة

---

(١) متى ١٩: ٢١.
(٢) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٨.
(٣) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٩.

القداس ولسماع تعاليم معلمهم أنطونيوس، فكان هو منشئ الرهبانية الانفرادية - أي التعبد في صوامع على انفراد - وهو في هذه الأثناء ذاع صيته وانتشرت شهرته.

ثم بدأ أنطونيوس يبحث عن مكان آخر بعيدا عن أعين الناس فبدأ يسير نحو الشرق في صحبة جماعة من البدو إلى أن وصل إلى القلزم وهو الجبل الذي يعرف حاليا باسم جبل الجلالة المشرف على خليج السويس - وهو عند أسفل تل مرتفع يطل على البحر الأحمر وجبال سيناء - وهو قريب من الدير الذي يحمل اسمه إلى اليوم، وهناك قضى أنطونيوس بقية حياته في مغارة من الجبل وسمح لتلاميذه أن يكونوا قريبين منه.

ومات أنطونيوس حوالي عام ٣٥٦م، وكان قد جاوز المائة عام، ثم دفنه تلاميذه في مكان سري غير معروف كما أمرهما، حيث إنه قد أوصاهم بإخفاء جسده في البرية [١]. وبعض المسيحيين يذكرون أنه دفن في مغارته[٢].

هذا وقد دون رهبانه بعض الرسائل التى اعتزت بها الكنيسة والأديرة المسيحية.

باخوميوس:

كان مؤسس رهبنة المتوحدين هو أنطونيوس - كما سبق أن بينا - أما «**باخوميوس**» الطيبى فقد بدأ نظام الرهبان الذين يعيشون في جماعات.

وبرغم أن الرهبان المتوحدين كانوا يحيون أحيانا في مجموعات تسمى «**اللورا**» إلا أن كل راهب كان يعيش مستقلا عن جيرانه بل أحيانا كانت تفصل مسافة كبيرة بين صومعة وأخرى.

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٤١.

(٢) راجع: تاريخ الرهبنة والديرية ص ٣٨، تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠١، فجر المسيحية ص ١٧٧، القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٢.

أما كلمة «سنوبيت» فتعني المعيشة معا في جماعات. والنظام الذي ظهر بقيادة باخوميوس كان نظاما جماعيا، فكون أول جماعة رهبانية منظمة في تاريخ المسيحية.

وهذا الشكل من الرهبنة هو الذي انتشر خارج مصر، وبخاصة في أوربا وازدهر في العصور الوسطى في أديرة البندكتين، والدومنيكانيين، والفرنسيسكان، والجزويت، والكرمليين وغيرهم من جماعات الكنيسة الكاثوليكية. وفي الكنيسة الشرقية اعتبر الرهبان الباسيليين كجماعة جبل أتوس في اليونان جماعات رهبانية يحيون حياة جماعية [١].

اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ومكان ولادة باخوميوس. وأغلب المؤرخين يتفقون على أنه ولد في لاتوبوليس - وهي إسنا الحالية - حوالي سنة ٢٨٥ م[٢]، وكان أبواه وثنيين. ولما ناهز العشرين من عمره انخرط في سلك الجندية في الجيش الروماني، واشترك في الحملة التى جردها الإمبراطور قسطنطين لإخضاع والى الحبشة المتمرد. واتخذت الحملة طريقها في النيل.

تقول الروايات المسيحية إنه أعجب بسلوك المسيحيين الذين قاموا على خدمة الجنود مما جعله يعتنق المسيحية عقب عودته من هذه الحملة، وقصد «باخوميوس» إلى (أوشنسيت) وهي بلدة قصر الصياد الحالية بمحافظة قنا، حيث عمد بكنيسة القرية، وقصد بعد العماد إلى أحد معابد سيرابيس المهجورة، بجوار النهر للإقامة به، وظل به - كما تذكر الروايات المسيحية - ثلاث سنوات وهو يمارس ضروب النسك الشائعة آنذاك [٣].

وقد اتصل باخوميوس بـ (بلامون) أحد الرهبان المقيمين بجواره وتتلمذ على يديه وظل في طاعته بضع سنين حتى أتقن الرهبانية كما يقولون.

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.
(٢) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢٣.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

وحين التف حوله كثير من الرهبان بنى لهم ديرا في (تابنيسى) - شمال فاو الحالية بمحافظة قنا - وكان ذلك هو أول دير يبنى للرهبان في مصر كلها، وقد أقامه بالاشتراك مع (بلامون) وكان ذلك حوالي عام ٢٣٠م [١]. وقد حرص باخوميوس على أن يدرب الرهبان على الحياة الديرية، وهى حياة قامت على الشركة في المسكن والمأكل والعمل والصلاة داخل مبنى أطلق عليه اسم دير.

ويذكر المسيحيون أن الحركة الديرية ازدهرت على يد باخوميوس حتى إنه أنشأ تسعة أديرة للرجال، وديرا واحدا للنساء، ولا يوجد أي دير من أديرته اليوم عامرا بالرهبان إلا أنه قيل إن دير المحرق العامر الآن هو أحد الأديرة التى أنشأها باخوميوس [٢].

يقول زكى شنودة: **«وبذلك يكون باخوميوس هو مؤسس الحياة الديرية وواضع نظم الحياة المشتركة للرهبان ولذلك يسمونه «أبو الشركة»**[٣].

ثم يقول (وهو أول من جمع الرهبان داخل سور وجعل لهم رئيسا يطيعونه، وكانت قوانينه الخاصة بقبول الراهب في الدير وملابسه التى يرتديها والطريقة التى يعيش بها، والعمل الذي يتولاه، ونظام صومه، وصلاته هي الأصل الذي أخذت عنه جميع النظم الرهبانية في العالم إلى اليوم، وما زالت قوانين باخوميوس باقية حتى الآن باليونانية واللاتينية)[٤].

وقد مات باخوميوس في أواسط القرن الرابع الميلادي وبالتحديد في عام ٣٤٦م.

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢٦، قصة الحضارة مجلد ٤ جـ١ ص١٢٠.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٥.

مقاريوس (أبو مقار الكبير)[١]:

يلي أنطونيوس في الشهرة في مجال الرهبان المتوحدين.

ولد مقاريوس في أوائل القرن الرابع في عام ٣٠١م ببلدة جحوير من أعمال منوف بالوجه البحري (وقيل إنه ولد بالصعيد من أبوين مسيحيين فقيرين)[٢].

وحين بلغ مبلغ الشباب زوجه أبوه إلا أن عروسه ما لبثت أن ماتت، ثم بعد قليل مات أبوه ولذلك ترك العالم وانفرد في كوخ وحده للتعبد، وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما، ثم قصد أنطونيوس وتتلمذ على يديه مدة، وبعد ذلك اتجه إلى وادي النطرون حيث أقام هناك والتف حوله عدد من الرهبان المسيحيين، ولهذا بنى لهم الدير الذي كان معروفا بدير مكسيموس ودماديوس[٣]، ثم عرف بعد ذلك بدير البراموس ثم بنى بعد ذلك الدير المعروف الآن بدير أبي مقار[٤].

وقد توفى مقاريوس في أواخر القرن الرابع الميلادي، وكان قد جاوز التسعين من عمره، فأتى قوم من أهل بلدة (جحوير) وأخذوا جسده، ودفنوه في بلدهم، وبنوا عليه كنيسة، وقد ظل جسده هناك مائة وستين سنة - كما يقول زكى شنودة- ثم نقل إلى ديره المعروف بدير أبي مقار[٥].

* * *

(١) ويدعى أيضا (مقاريوس مصر) تمييزا له عن شخص آخر يدعي (مقاريوس الإسكندري) الذي كان يعيش أيضا أثناء القرن الرابع الميلادي. عن حياة كل منها. راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٥٢ - ١٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢.

(٣) وهما ولدا (فالنتنياس الأول) قيصر الغرب الذي تولى العرش سنة ٣٦٤م. اعتزلا العالم وتتلمذا على يد مقاريوس (المرجعة السابق ص ١٥٣).

(٤) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٦.

(٥) المرجع السابق ص ٢٠٨.

بندكت [١]:

انتقلت الرهبانية من الشرق إلى الغرب على يد (إثناسيوس) وغيره في القرن الرابع الميلادي. ولكنها لم تتخذ شكلا منظما إلا على يد الراهب (بندكت).

ولد هذا الراهب عام ٤٨٠م في أسرة إيطالية لها مكانتها حيث كانت معروفة بالثراء والأرستقراطية.

تلقى دراسته الأولى في روما. غير أنه لم يلبث أن تركها وبدأ حياته الرهبانية.

ويرجع المؤرخون هذا إلى أنه استاء من شرور هذه المدينة وموبقاتها التى أثارت شعوره.

كتب مؤرخ سيرته (القديس جريجورى) يقول: **«إنه احتقر في تلك المدينة الدراسات الأدبية فرحل عنها جاهلا بهذه الدراسات عن عمد»** [٢].

ويقول د./ سعيد عبد الفتاح عاشور: **«ولكنه ضاق ذرعا بما لمسه من مظاهر الفساد الخلقي وآثر الفرار إلى مكان جبلي منعزل حيث عاش في كهف بعيد معتمدا على ما يمده به المقربون من مأكل ولوازم ضرورية»** [٣].

ويقال إنه ترك هذه المدينة لأنه أحب حبا فاشلا..

وبدأ بندكت حياته الانعزالية حيث عاش في كهف في **«رواي سابين»** على بعد خمسة أميال من **«سوبياكو»**.

وبعد بقائه هناك بضعة سنوات هرع إليه الرهبان من الأماكن المجاورة،

---

(١) راجع: (تاريخ العالم) المجلد الرابع (الفصل الرابع والثمانون) ص ٢٩٧ وما بعدها، حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ص ١٧٩ - ١٨٢، د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣- ٧٤، د./ سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطى جـ١ ص١٦٧- ١٦٩.

(٢) تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص ٢٩٧.

(٣) أوربا في العصور الوسطى جـ١ ص ١٦٧.

وحين تجمع حوله عدد من المريدين، فكر في الانتقال إلى مكان بعيد عن روما، وذلك في سنة ٥٢٠م تقريبا، ولذلك أرسل بعض أتباعه للبحث عن موضع أكثر ملاءمة، وعاد هؤلاء ليخبروا (بندكت) بأنهم عثروا على مكان مناسب في منتصف الطريق بين روما ونابلي عند (مونت كاسينو) حيث يوجد معبد قديم للإله (أبولو) وما زال يتردد عليه بعض الفلاحين من المناطق المجاورة.

وهكذا أقام (بندكت) ديرا على أنقاض هذا المعبد، ووضع فيه أنظمته الديرية التى أصبحت هي الأساس لمعظم الأديرة الغربية.

وفي سنة ٥٤٣ م مات هذا الراهب، وبعد ست وأربعين سنة من هذا التاريخ أغار اللومبارديون على إيطاليا/ ففر الرهبان البندكتيون من جبل (كاسينو) إلى رومية يحملون معهم نظامهم وطريقتهم في الحياة.

هذا تعريف بأهم الشخصيات التي اشتهرت في مجال الرهبانية المسيحية.

* * *

أصل الرهبنة المسيحية

اختلف المؤرخون والباحثون حول أصل الرهبانية المسيحية.

ذهب فريق من المسيحيين إلى أن أصل الرهبانية المسيحية تعاليم المسيح عليه السلام. بينما ذهب فريق آخر - منهم بعض المسيحيين - إلى أن أصلها التعاليم الوثنية والأفكار الوضعية، تلك التعاليم الرهبانية والأفكار النسكية التى كانت لدى الأديان الوثنية المنتشرة قبل وأثناء ظهور المسيحية.

وسوف نتحدث أولا عن رأي المسيحيين وأدلتهم ثم نناقشها.

يدعي المسيحيون أن أصل الرهبانية المسيحية أخذت من حياة السيد المسيح وتعاليمه [١]، فلقد ادعوا أن الرهبان المسيحيين أخذوا فكرة هجر العالم والزهد في متاعه وأطماعه من قول المسيح للشاب الغني الذي تقدم إليه وطلب منه أن يدله على الطريق إلى الحياة الأبدية الطيبة - كما يقولون - فنصحه بقوله: (إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني)[٢].

وأيضا قول المسيح - كما جاء في أناجيلهم - لتلاميذه حين قال له بطرس: (ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا)، فأجابهم قائلا: (كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية)[٣].

وادعوا أيضا أنهم تمثلوا بالمسيح في تقشفه، واختياره للفقر.

---

(١) راجع: يسوع المسيح ص ٣٥٦، تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٣- ١٩٤، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢- ٣.

(٢) متى ١٩: ٢١.

(٣) متى ١٩: ٢٧- ٢٩.

يقول زكى شنودة: «**وأما الفقر الاختياري والتقشف الذي أخذ به النساك، إذ قسوا على ذواتهم، ونسوا مطالب حياتهم، وتعمدوا تعذيب أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيدا عن الناس، فقد تمثلوا فيه كذلك بالسيد المسيح في زهده واحتماله الآلام**»[١].

وادعوا أن فكرة اللجوء إلى الجبال والبراري نشأت عن أن المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع[٢].

وادعوا أيضا أن الرهبان المسيحيين استمدوا مبدأ البتولية وعدم الزواج من أقوال المسيح المنسوبة إليه في أناجيلهم، وذلك حين جاء إليه الفريسيون يسألونه عن الطلاق، وهل يحل للرجل أن يطلق زوجته؟ فأجابهم: الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، ثم قال: (وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني، قال له تلاميذه: أن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج، فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم، لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل[٣].

ومن قول بولس أيضا: «**وأما البتولية (العذارى) فليس عندي فيها وصية من الرب، ولكنني أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة، لكنك وإن تزوجت لم تخطئ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ، ولكن لمثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فإني أشفق عليكم، فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مقصر، لكي يكون الذين**

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٥.
(٢) المرجع السابق ص ١٩٤، راجع أيضا: دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٣.
(٣) متى ١٩: ٣-١٢.

لهم نساء كأن ليس لهم، والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشترون كأنهم لا يملكون، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول، فأريد أن تكونوا بلا هم، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضى الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقا، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا، وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم وكيف ترضي رجلها، هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقى عليكم وهقا بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك، ولكن إذا كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذراء إذا تجاوزت الوقت، وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد أنه لا يخطئ فليتزوجا، وأما من أقام راسخا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراء فحسنا يفعل. إذًا من زوج فحسنا يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن»[١].

وهكذا يتضح لنا أن المسيحيين ينسبون أساس الرهبانية إلى المسيح ويدعون أن أصولها أخذت من حياة المسيح وتعاليمه التى جاءت في أناجيلهم.

وعند مناقشة رأي المسيحيين وأدلتهم نقول:

إن هذا الرأي فيه تجاوز شديد، فالقول بأن المسيح كانت من تعاليمه الدعوة إلى الرهبانية فيه مغالاة شديدة خاصة وأن الأناجيل المسيحية تنسب إلى المسيح أنه كان [٢] يحب اللهو والمرح والمتعة والصخب[٣]، وتنسب إليه أيضا أنه كان يستمتع بالطعام الجيد لدرجة أنه وصف بأنه أكول وشريب.

(١) رسالة كورنثوس الأولى ٧: ٢٥ - ٣٨.

(٢) راجع محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله (الفصل الثاني) دار النهضة العربية.

(٣) نحن نجل المسيح من أن يفعل أفعالا شائنة ولكننا نورد ما جاء في أناجيلهم التى يستشهدون بفقراتها على التأكيد بأن المسيح دعى إلى الرهبانية، فنحن نأتي بهذه الأمور لنرد بها على المسيحيين لا أكثر ولا أقل، ومرة ثانية نقول نحن نؤمن بأن المسيح رسول من عند الله معصوم من الوقوع في الأخطاء والمعاصي ومعصوم من أن يفعل الكبائر بل والصغائر.

يقول متى: «**جاء ابن الإنسان - المسيح - يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة**»(١).

وأشارت الأناجيل المسيحية أيضا إلى أن المسيح كان يحضر الأفراح ويتطيب ويشارك الناس سعادتهم بل وفي بعض الأحيان - كما تروى الأناجيل - يشرب الخمر(٢).

يقول العقاد: «**لقد قبل المسيح إنفاق الدنانير في عطر تمسح به قدماه، وقبل أن يشهد الأعراس، وضرب المثل لأتباعه في أفراح الحياة، وفي براءة كل فرح يأتي من القلب ويسر الجسد ولا يحزن الروح**»(٣).

هذا وقد ذكر بعض المسيحيين أن الرهبانية لم تكن من تعاليم المسيح ولم يدع إليها.

يقول جون لوريمر: «**من قراءة العهد الجديد يظهر لنا أن الزهد لم يكن تعليما أساسيا في المسيحية، وعلى العكس من يوحنا المعمدان جاء يسوع يأكل ويشرب فقيل عنه إنه أكول وشريب خمر**»(٤).

هذا عن قولهم بأن الزهد وهجر العالم واللجوء إلى البراري مأخوذ من حياة المسيح وتعاليمه.

أما بالنسبة لادعائهم أنهم استمدوا مبدأ البتولية - أو التبتل وهو الانقطاع عن النساء والدنيا للعبادة كما سبق أن بينا - من المسيح فهو أيضا فيه نظر، ذلك أن الفقرات التى استشهدوا بها من الأناجيل على أنها أقوال المسيح ليس فيها ما يوجب ترك الزواج، وليراجعها القارئ مرة ثانية.

لذلك يقول المؤرخ المسيحي جون لوريمر - في تعليقه على الفقرات محل الاستشهاد لدى المسيحيين: «**ومعنى كلام يسوع هو أن عدم الزواج مفضل**

---

(١) متى ١١: ٩.
(٢) راجع يوحنا ٢: ١-١٠.
(٣) العقاد: حياة المسيح ص ١٣٨.
(٤) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٢.

لكنه ليس ضروريا».

وكذلك أيضا يفهم من أقوال بولس - التى هي محل الاستشهاد هنا: «**أن الزواج حسن وأن عدم الزواج أحسن، من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن**»[١].

هذا إلى جانب أنه قد ثبت أن رجال الكنيسة في عصرها الأول كانوا متزوجين [٢]، فقد جاء على لسان بولس نفسه نص يستفاد منه إباحة الزواج لرجال الدين.

يقول بولس: «**ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وأخوة الرب وصفا - بطرس -**»[٣].

وهكذا يتبين لنا أن القول بأن الدعوة الرهبانية أخذت من تعاليم المسيح فيه مجافاة للحقيقة وبعد عن الصواب.

يقول جون لوريمر: «**الزهد مفضل ولكن ليس أمرا في العهد الجديد**»[٤].

ويقول كامبنهاوزن في كتابه (الزهد في الكنيسة المسيحية الأولى):

«**من يسوع لبولس كان هناك رفض متزايد لكل أشكال الزهد. . . ولم يؤمر به أو ينصح به كوسيلة للخلاص**[٥]، وكان هذا هو الموقف الأساسي للكنيسة الأولى»[٦].

ولذلك ذهب فريق من المؤرخين المسيحيين وغيرهم إلى أن الرهبانية المسيحية استمدت من مصدر آخر غير تعاليم المسيح وحياته، وهو الأديان

---

(١) كورنثوس ٧: ٣٨.

(٢) أوربا في العصور الوسطى جـ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) كورنثوس ٩: ٥.

(٤) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٣.

(٥) والخلاص هو من أهم العقائد التى يقوم عليها الدين المسيحي (راجع رسالتنا للماجستير: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه).

(٦) نقلا عن تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٣.

الوضعية والفلسفات الوثنية التى كانت منتشرة قبل ظهور المسيحية، والتي كانت تعتقد بالتنسك والرهبانية.

يقول المؤرخ المسيحي أندرو ملر: **«ويظهر أن الآباء قد فاتهم أن مبدأ الزهد نشأ عن الفلسفة الوثنية لا الديانة المسيحية، ولكنهم لم يتصفحوا الكتاب المقدس لمعرفة فكر الله في هذه الموضوعات»**(١).

ويقول: **«إن مبدأ عدم زواج الإكليرس - وهم رجال الدين - الذي تكون بعد ذلك الوقت وكل نظام التنسك والرهبنة لا يرجعان إلى كلمة الله بل إلى الفلسفة الشرقية»** (٢).

وتقول المؤرخة المسيحية (بتشر): **«إن المصريين المسيحيين بدءوا في اقتفاء آثار آبائهم الأولين في إدخال مبدأ الرهبنة في الديانة المسيحية»**(٣).

ويقول ولز: **«وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي الطرائق العملية للديانات الشائعة في ذلك الزمان، فاتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين لأن ذلك كان يبدو الطريقة المثلي لتمييز القسس وتتابعت البدع واحدة إثر الأخرى»**(٤).

وأشار إلى ذلك أيضا الجاحظ قائلا: **«وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة، وزرايتهم على كل من أكل اللحمان، ورغبتهم في أكل الحبوب، وترك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح، وتركهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء، علمت أن بين دينهم ودين الزندقة نسبا وأنهم يحنون إلى ذلك المذهب»**(٥).

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ ص ٣٢٧.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٧. (٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٥.

(٤) معالج تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص ٧٠٩.

(٥) الجاحظ: المختار في الرد على النصاري ص ٩٢، ٩٣، تحقيق د./ محمد عبد الله الشرقاوى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

وهناك بعض الآراء التى تنسب الرهبانية المسيحية إلى ديانة وثنية واحدة بعينها فمن قائل أن أصلها هو من الديانات الهندية أو على الأقل من البوذية الهندية، ولكن كيف يكون ذلك والرهبانية المسيحية نشأت بمصر بعيدا عن بلاد الهند؟

والواقع أن نشأة الرهبانية المسيحية في مصر لا يحول بينها وبين تأثرها بالديانة البوذية، خاصة إذا علمنا أنه في عهد بطليموس فيلادلفوس عزم أشوكا (٢٧٣ - ٢٣٢ ق. م) إمبراطور الهند في ذلك الوقت أن ينشر التعاليم البوذية في بلاد العالم المعروفة آنذاك، وكانت مصر من بين بلاد البحر الأبيض المتوسط التي أرسل إليها أشوكا المبشرين[١] ويدل على هذا أن كليمان (١٥٠ - ٢١٨ م) وكريستو ستوم وآخرين من الكتاب المسيحيين الأول أشاروا إلى الهنود في الإسكندرية وتحدثوا عن عقائدهم [٢].

يقول رالف لنتون (وفي بداية العصر المسيحي وصل بعض أولئك المبشرين البوذيين إلى الإسكندرية، وبالرغم من أن تعاليم البوذية لم تترك إلا أثرا ضئيلا لأن فلسفتهم لم تستطع أن تتفوق على ما كان يوجد فيها من النظم والأساليب المتقنة للفلسفة اليونانية. إلا أنهم ربما كانوا السبب في ظهور كثير من أنواع النسك وتنظيم رهبان الأديرة التى امتازت به القرون المبكرة في تاريخ المسيحية في مصر) [٣].

ويقول د/ أحمد شلبي (والباحث في مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين في تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسد هي سياسة البوذية وغيرها)[٤].

---

(١) راجع دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢، الهند القديمة حضارتها وديانتها ص ١٧٤.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ص ٤٧٠.

(٣) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٧.

(٤) د./ أحمد شلبي: المسيحية ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

وذهب البعض إلى أن أصل الرهبانية المسيحية هو من الجماعات اليهودية التى كانت تعيش في مصر وكان التنسك أهم مبادئها.

والبعض ربط بينها وبين التنسك المصري القديم.

وآخرون أشاروا إلى أن هناك علاقة قوية بين الرهبانية المسيحية والأفلاطونية الحديثة. يقول د/ عبد القادر أحمد اليوسف (والرهبنة في عصورها الأولى عبارة عن امتزاج بين التعاليم المسيحية والآراء الصوفية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة)[١].

وفي اعتقادي أن الرهبانية المسيحية بحكم نشأتها في مصر تأثرت بكل هذا، خاصة إذا علمنا أن الإسكندرية كانت مركزا هاما من مراكز العلم والثقافة والفلسفة في العصور الميلادية الأولى، وكانت التعاليم الفلسفية والمعتقدات الدينية شائعة ورائجة في الإسكندرية مما يسهل على المصريين التعرف عليها والاعتقاد بها إن لزم الأمر.

ويدل على هذا أيضا أن ظاهرة المزج والتوفيق - أو التأليف بين الآلهة والتعاليم الوثنية المختلفة كانت سائدة ومنتشرة في أرجاء العالم الوثني آنذاك وبخاصة في مراكز العلم والثقافة - الإسكندرية وأنطاكية ومقدونيا - في الفترة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي.

(فمنذ عصر الإسكندر الأكبر كان هناك ميل مطرد إلى التوحيد بين مختلف الآلهة سواء الوطنية أو الأجنبية ويعرف هذا الاتجاه باسم حركة التوفيق العقائدي)[٢].

ويقول جورج سارتون (ذاعت نزعة الجمع الهلينية بين الناس ذيوعا جعلهم

---

(١) العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢.

(٢) هـ. روز: الديانة اليونانية القديمة ص ١٤١ سلسلة الألف كتاب ترجمة رمزي جرجس دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥م.

لا يقتصرون على عبادة الآلهة الأجانب بل يعبدون أمشاجا منها [١] وذلك بعد التوفيق والمزج بينهما.

وقد استمرت حركة المزج هذه في عصر الإمبراطورية الرومانية حتى ليمكن أن يقال (إن العالم لم يشهد فترة امتزجت فيها الأديان القديمة كما حدث في ظل الإمبراطورية الرومانية[٢] ولذا وصف ذلك العصر بأنه عصر المزج الديني والفكري[٣]. ومن آثار هذا المزج وجدنا أديان وفلسفات جديدة.

والفلسفة الأفلاطونية والديانة المسيحية أبرز مثالين على سمة ذلك العصر فالأفلاطونية الحديثة كانت فيها - كما سبق أن بينا - مؤثرات دينية فارسية وبابلية، ومصرية، ويهودية، ومسيحية.

والمسيحية تأثرت بالأديان الهندية والمصرية والفارسية وبعض الفلسفات اليونانية [٤] ولهذا يمكن القول بأن الرهبانية المسيحية وليدة هذا التأثر بتلك الأديان والفلسفات الوثنية.

* * *

(١) جورج سارتون: تاريخ العلم جـ٤ ص٨ ط دار المعارف.

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٧٥.

(٣) د./ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص ٢٤٤ دار النهضة العربية، وكان المزج بين الدين والفلسفة سمة هذا العصر (راجع: رابورت: مبادئ الفلسفة ص ١٠٩ ترجمة أحمد أمين).

(٤) راجع رسالتنا للدكتوراه (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية).